# أسماء الكعبة المشرفة

## في الدرس اللغوي

ويليه

## بركة مكة المكرمة

## على التأليف اللغوي


الأستاذ الدكتور

رياض بن حسن الخوام

جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

المكتبة المكية

مجموع


مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

رفع وتنسيق:

عبد الله جابر

# أسماء الكعبة المشرفة

## في الدرس اللغوي

ويليه

## بركة مكة المكرمة

على التأليف اللغوي

# أسماء الكعبة المشرفة

## في الدرس اللغوي

ويليه

## بركة مكة المكرمة

## على التأليف اللغوي

الأستاذ الدكتور

رياض بن حسن الخوام

جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

المكتبة المكية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

المكتبة المكية

مكة المكرمة - الشرائع - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اختصت هذه اللفظة المباركة بدراسة علمية ماتعة قدمها علماؤنا على امتداد قرون خلت، فنظروا إلى أسباب تسميتها بالكعبة، وبحثوا عن اشتقاقات لأسمائها الأخرى وأبرزوا التراكيب اللغوية التي آثرتها العرب في استعمالهم لأسمائها وما يتصل بها، ورأيتني أتتبع ما ذكروه في كتب اللغة والتفسير والتاريخ فسجلت ما سطروه ورتبت ما حبروه ليجتمع في موضع واحد ما تناثر، فتحصل إن شاء الله الفائدة ويعمّ النفع.

وقد رأيت ابتداء أن أنبه إلى أن المؤرخين الذين عرضوا لأسماء الكعبة المكرمة ذكروا معها أسماء تنسحب على مكة أيضا كما تنسحب أحياناً على المسجد الحرام التي تقع فيه الكعبة، من ذلك ما ذكره الأزرقي أن البيت كان يدعى قادساً، ويدعى ناذراً، ويدعى القرية القديمة، ويدعى البيت العتيق[1]، وتبعه في ذلك الفاسي في شفاء الغرام[2]، في حين أن ابن ظهيرة ذكر قادساً والبيت العتيق ضمن أسماء مكة ثم قال: «ومن أسمائها - أي مكة المكرمة -: البيت العتيق، ذكره الأزرقي وغيره، قال الفاسي: ولعل ذلك من تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع، لكن يَرِدُ على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبة كلها إذا لحظ هذا المعنى»[3] وأضاف قائلا: «أقول على هذا يكون لمكة في القرآن عشرة

(١) أخبار مكة ١/ ٢٨٠
(٢) شفاء الغرام ١/ ٢٠٦
(٣) الجامع الصغير ١٠٠

أسماء، بل وأكثر عند التتبع والتدبر، فتأمل والله الموفق»[1]. فهذا يفيد أن المؤرخين كانوا مدركين بأنه عن طريق المجاز يمكن أن يطلق على الكعبة أسماء مكة والعكس صحيح أيضاً، لكننا في هذا المقال سنعرض الأسماء التي ذكروها على أنها مخصوصة بالكعبة المشرفة، مدركين أيضاً أن بعضها يطلق على مكة المكرمة وبعض آخر يطلق على المسجد الحرام المشتمل على الكعبة المشرفة وهي:

## ١ـ الكعبة:

وهي البيت المسَقَّفُ في وسط الحرم[2]، وهي اسم غالب على هذا البنيان المشاهد كالنجم للثريا، وتقع بين الأخشبين في وسط المسجد الحرام[3]. ورد ذكرها في القرآن الكريم مرتين، الأول في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[4]، والثانية في قوله تعالىٰ: ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾[5].

وقد ذكر اللغويون ثلاثة أقوال لسبب تسمية هذا البيت كعبة:

١ـ أنها سميت بذلك لتكَعُّبِ بنائها أي تربيعه، ففي المنتخب لكراع

(١) الجامع الصغير ١٠٠، وكان قد قرر من قبل أن أسماءها في القرآن ثمانية.
(٢) الروض المعطار للحميري ٩٣.
(٣) منائح الكرم ١/ ٢٥٣، ٢٥٧، والأخشبان: جبلان أحدهما شرقي وهو أبو قبيس، وثانيهما غربي وهو قعيقعان، وقيل بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك، انظر منائح الكرم ١/ ٢٠٩.
(٤) المائدة ٩٧.
(٥) المائدة ٩٥، وقال صاحب البحر المحيط ٤/ ٢٠: «وذكر الكعبة لأنها أم الحرم، وذكرها تعظيم لها».



أنها سميت كعبة للتربيع، وأن كل مربع عند العرب كعبة[1]، وأكد على ذلك في موضع آخر فقال: «إن البيتَ الحرامَ سُمِّيَ كعبةً لتربع أعلاه[2]، أما ابن سيده فقد أشار في عبارة تقريرية إلى أن «الكعبة البيت المربع»[3]، ونسب الطبري هذا القول إلى مجاهد قال: «إنما سميتْ بالكعبة لأنها مربعةٌ أيضاً»[4]، ونسب هذا إلى ابن نجيح وابن جريج إذ نقل عنهما القول بأنها سميت الكعبة لأنها مكعبةٌ على حلقةِ الكعبِ[5]، وتكعُّب البناءِ هو تربيعُهُ[6].

٢ـ أنها سميت بذلك لارتفاعها ونشوزها على الأرض[7]، وكلُّ شيء علا وارتفع فهو كعبٌ عند العرب، ومنه كعبَتِ الجاريةُ تكعُبُ إذا نهدَ ثديُها، ومنه كَعْبُ القدمِ وكعبُ القناةِ[8]. ولعل مما يؤيد هذا

(١) المنتخب ٢/ ٦٦٨، وانظر المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٥٦، واللسان، كعب، ومنائح الكرم ١/ ٢٥٣.
(٢) المنتخب ١/ ٤٠٦، وانظر القاموس المحيط، كعب.
(٣) المخصص ٥/ ١٢٨.
(٤) تفسير الطبري ٩/ ٥.
(٥) أخبار مكة للأزرقي ١/ ٢٧٩، وانظر شفاء الغرام ١/ ٢٠٦.
(٦) منائح الكرم ١/ ٢٥٣.
(٧) انظر لسان العرب، كعب، والمحرر الوجيز ٥/ ٥٧، ومنائح الكرم ١/ ٢٥٣، والمصباح المنير، كعب.
(٨) انظر المراجع السابقة، وزاد النووي لاستدارتها. انظر شفاء الغرام ١/ ٢٠٦، والظاهر أن من نص على استدارتها نظر إلى أنها كانت مدورة من الوراء حين بناها إبراهيم، ومن نص على تربيعها وتكعيبها نظر إلى ما صنعته قريش حين بنتها، قال الفاسي في شفاء الغرام ١/ ١٥٠: «وذكر ابن الحاج المالكي في منسكه شيئاً من خبر بناء إبراهيم عليه السلام الكعبة فقال: وكان صفة بنا إبراهيم عليه السلام للبيت أنه كان مدوراً من وراته وكان له ركنان وهما اليمانيان فجعلت قريش حين بنوه أربعة أركان»، ونقل النجاري في منائح الكرم ١/ ٢٩٤ هذا النص بلفظ: «وإنما ربعته قريش» وأضاف قائلاً: «فتأمله مع ما تقدم من صفة البناء وهذا يؤيد اشتقاق اسمها من التكعيب». وخلاصة ذلك أن ما ذكر كله محتمل لا يخالف واقع بنا، الكعبة وشكلها. والله أعلم.

القول أن الكعبةَ في اللغة هي الغرفة، قال ابن سيده: «أراه لتربعها أيضاً»[1]، والظاهر أن ابن سيده أراد من قوله هذا التأكيدَ على أن سببَ تسمية الكعبة غرفةً هو لتربيعها أيضاً وليس لارتفاعها، فكأن الغرفة عنده لا تكون إلا مربعة، لكن من المحتمل أن يكون مراد العرب من إطلاقهم الكعبةَ على الغرفة هو الارتفاع والعلو، ففي القاموس المحيط «والغرفة: العِلِّيَّةُ»[2]، بل الظاهر أيضاً أن فكرة العلو والارتفاع عن الأرض حاصلة منذ بناء الكعبة إلى وقتنا هذا، فقد ذكر صاحب منائح الكرم أن إبراهيم حين أراد بناءها قال: «يا إسماعيل، إن الله أمرني أن أبني له بيتا هاهنا، وأشار إلى أكمةٍ حمراءَ مرتفعة، فقال: اصنع ما أمرك»[3]. وروي عن مجاهد أن محل البيت كان قد دُرِسَ بعد الطوفان فصار موضعُه أكمةً حمراء لا تعلوها السيول[4]، فكونها أكمةً مرتفعةً لا تعلوها السيول كما ذكر في النصين السابقين يفيد أن فكرة ارتفاعها عن مستوى الأرض لم يبرح أذهان من أراد بيان سبب تسميتها بذلك ناهيك عن قوله تعالىٰ واصفاً بناء إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[5] فالفعل يرفعُ إشارةٌ إلى أن الارتفاعَ هو من صفات هذا البيت المعظم.

٣ـ أنها سميتْ بذلك لانفرادها من البناء قاله مقاتل[6]، يؤيد ذلك أنها سميت البنية كما سيمرُّ معنا، إذ لم يكن العرب يبنون بيوتهم

(١) اللسان، كعب، ولم أقف على هذا القول في المخصص، وانظر الصحاح، كعب.
(٢) مادة علو، وانظر أيضا المصباح المنير، غرف.
(٣) منائح الكرم ١/ ٢٩٠
(٤) منائح الكرم ١/ ٢٩١
(٥) البقرة ١٢٧.
(٦) انظر تاريخ الكعبة لحسين باسلامة ص٥٦، وانظر معالم التنزيل للبغوي ١/ ٤٥٧.



على هذا النمط، ولعل المراد أنها اختصت بشكل هندسي متفرد أضفىٰ عليها جمالاً خاصاً فانفردت بذلك عن كل بناء معروف عندهم.

وقد رجح الفاسي الرأي الأول بقوله: «والصحيح الأول على ما ذكر ابن جماعة»[1]، وتبعه السنجاري مبيناً سبب ترجيحه فقال: «والظاهر أن الأول أولىٰ، لأن وضع البيت الشريف ليس على الاستدارة بل هو ذو أضلاع أربعة وهو المربع عند أهل الهندسة»[2].

ولعلي لا أبعد عن الصواب إن قلت: إنها سميتْ كعبةً لكل ما ذكروه من الأسباب، إذ إن كل سبب له ما يدل عليه من الواقع المشاهد والله أعلم.

وقد صار لهذه الكعبة عند العرب مكانة وتعظيم وتقديس فصاروا «يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة»[3]، ولا يستحسنون بناء بيوت تشبهها شكلاً وهندسة، قالوا: «أولُ من بنىٰ بيتاً مربعاً حُميدُ بنُ زهير فقالت قريش: ربَّعَ حُميدُ بن زهير بيتاً، إما حياةً وإما موتاً»[4].

وقد توسع بعضهم في تقليدها فبنوا بيوتاً يضاهون بها هذه الكعبة، من ذلك ما ذكره ابن عطية نقلاً عن كتاب سير ابن إسحاق أنه كان في خثعم بيتاً يسمونه الكعبة اليمانية[5]، وذكر صاحب اللسان أنه كان فيه صنم يدعىٰ الخَلَصةَ وقد أنفذ إليها رسول الله ـ ﷺ ـ جرير بن عبد الله

(١) شفاء الغرام ١/ ٢٠٦.
(٢) منائح الكرم ١/ ٢٥٦.
(٣) أخبار مكة ١/ ٢٨٠، ومنائح الكرم ١/ ٢٥٦.
(٤) أخبار مكة ١/ ٢٨٠، ومنائح الكرم ١/ ٢٥٦.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥٧.

البجلي فخربها[1].

وتسمىٰ أيضاً كعبة اليمامة[2]، وذكر صاحب معجم البلدان أن بانيها هو أبرهة بن الصباح الحميري، وأضاف قائلاً: «وقيل كان ذو الخلَصة يُسمَّىٰ الكعبةَ اليمانية والبيتُ الحرام يُسمَّىٰ الكعبةَ الشاميةَ»[3].

وذكر الجوهري أيضا أنه كان لربيعة بيت يطوفون به يسمونه الكعبات[4]، وقيل ـ كما قال ابن منظور ـ: ذا الكعبات، وقد ذكره الأسود ابن يعفر في شعره فقال:

..... والبيتِ ذي الكَعَبَاتِ من سِنداد[5]

ونقل السنجاري عن صاحب القاموس قوله: «وبُسٌّ بالضم بيت لغطفان بناها ظالم بن أسعد لما رأىٰ قريشاً يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرَّعَ البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة فرجع إلى قومه فبنىٰ بيتاً على قدر البيتِ ووضعَ الحجرَيْنِ وقال: «هذان الصفا والمروة، فاجتزئوا به عن الحجِّ، فأغار عليهم زهيرُ بن جناب الكلبي فقتلَ ظالماً وهدم بناءه»[6].

ومن ذلك «نو بَهَارُ بَلْخ» بناه أحد أجداد خالد بن برمك، عارضوا به الكعبة وكانوا يطوفون به ويحجه أهل مملكتهم ويُلَبِّسُ الحريرَ، وكان بيتاً

(١) اللسان، خلص.

(٢) الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، خلص.

(٣) معجم البلدان ٣/٤٥٣ نقلاً من أخبار مكة ١/٣٧٥ (الملحقات).

(٤) الصحاح، كعب.

(٥) اللسان، كعب، وصدره: أهل الخورنق والسدير وبارق، وأورده أيضاً ابن عطية في المحرر ٥/٥٧ وأتبعه بالقول: «قالوا كانت فيه بيوت مربعة»، وانظر الصحاح، كعب، والمخصص ٥/١٢٨.

(٦) منائح الكرم ١/٢٥٥، والقاموس المحيط، بس.



حول أروقته ثلاثمائة وستون مقصورةً يسكنها خادمه وقُوَّامه، وكان من يليه يسمىٰ برمكاً يعني والي مكة، وانتهت البرمكة إلى خالد بن برمك فأسلم على يد عثمان وسماه عبد الله[1].

وهكذا تأثر العرب والعجم بهذه الكعبة من حيث بناؤها وشكلها ثم الطواف حولها، لكن كل ما بنوه اندثر وبقي هذا البيت العتيق مكلوءاً بحفظ الله وعنايته مُهاباً من العرب يأوون إليه ويقدسونه، قال ورقة بن نوفل في الكعبة:

«مَثاباً لأفنـاءِ القبـائلِ كلِّهَا تخبُّ إليهـا اليَعْمُلاتُ الطلائحُ»[2]

## ٢ـ بكة:

ذُكِرَتْ مرةً واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[3]، وقد اختلف العلماء حول المراد من بكة هنا على فريقين:

«أ» ـ فريق يرىٰ أن مكة وبكة بمعنىٰ واحد على البدل كما يقال ضَرَبٌ لازبٌ ولازمٌ رُوِيَ ذلك عن الضحاك ومجاهد[4]، لذا ذكرت بكة على أنها من أسماء مكة.

«ب» ـ وفريق يرىٰ أن هناك فرقاً بين بكة ومكة فقيل: إن بكة هي

(١) منائح الكرم ١/٢٥٤ نقلاً عن ربيع الأبرار للزمخشري.

(٢) المحرر الوجيز ١/٤٧٩، وذكر المحقق أنه في اللسان وشرح القاموس لأبي طالب، والأفناء: الأخلاط، واليعملات: النجائب من الإبل التي أضمرها الإعياء.

(٣) آل عمران ٩٦.

(٤) تفسير الطبري ٥/٥٩٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤/١٣٨، وفقه اللغة للثعالبي ٣٥، واللسان، مكك، وأخبار مكة ١/٢٨١، والجامع اللطيف ٩٩.

موضع البيت، ومكة هي الحرم كله[1]، وذكر الأصفهاني ضمن الأقوال المفسرة للفظ بكة أن المراد منها في الآية الكريمة هو البيت[2]، وأورد الأزرقي أيضاً ما يفيد أنهم أطلقوا هذه اللفظة على الكعبة المشرفة قال: «قال عثمان: وأخبرني محمد بن السائب الكلبي في قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ قال: وهي الكعبة»[3]، وإلى نحو هذا أشار ابن ظهيرة حين عرض للفظ بكة فقال: «وقيل الكعبة والمسجد الحرام قاله الجوهري وزيد بن أسلم»[4].

والمهم أن هناك من ذهب إلى أن المراد من بكة هو الكعبة أو موضع البيت.

أما اشتقاق بكة فثمة أقوال فيها:

١- قال ابن عباس - رضي الله عنه -: «إنما سميت بكة لأنه يجتمع فيها النساء والرجال»[5]. وعن ابن جريج أنه كان يقول: «إنما سميت بكة لتباكُّ الناس بأقدامهم قدام الكعبة»[6] أي يجتمع الرجال والنساء فيتزاحمون في الطواف، يقال: بكَّ فلانٌ يُبُكُّ بكة أي زَحَمَ، وتباكَّ القومُ أي ازدحموا، قال الجوهري بعد أن أورد معانيه اللغوية: «سميت بذلك لازدحام الناس»[7].

(١) تفسير الطبري ٥/٥٩٧، والجامع اللطيف ٩٩.
(٢) المفردات ٢٧.
(٣) أخبار مكة ١/٢٨١.
(٤) الجامع اللطيف ٩٩، ولم أعثر على قول الجوهري هذا في الصحاح، المواد: بكة، وكعب - ومكك.
(٥) أخبار مكة ١/٢٨٨، والجامع اللطيف ٩٩.
(٦) أخبار مكة ١/٢٨٠، وشفاء الغرام ١/٢٦٠.
(٧) الصحاح، بكك.



٢- وقيل: إنها سميت بذلك لأنها تبكُّ أعناقَ الجبابرة[1] أي - كما قال ابن ظهيرة -: «تدقها ما قصدها جبار بسوء إلا قصمه الله»[2].

٣- وقيل: سميت بذلك لأنها تَضَعُ من نخوة المتكبرين[3]، وظاهرٌ أن هذا التعليل يندرج تحت الذي سبقه، فبكها لأعناق الجبابرة المتكبرين هو وَضْعٌ لنخوتهم جميعاً[4].

والخلاصة أن بكة أطلقت على الكعبة إما ابتداء كما هو الشأن عند الفريق الثاني وإما مجازاً عند الفريق الأول، لأن مكة أو بكة مشتملة على الكعبة المشرفة.

## ٣ - المسجد الحرام:

ورد هذا التركيب الوصفي في القرآن الكريم (١٥) مرة أُريدَ به في بعض المواضع الكعبة المشرفة وأُرِيْدَ به في مواضع أخرىٰ مكة المكرمة[5]، وقد ذكرنا من قبل أن أسماء مكة تتداخل مع أسماء الكعبة مجازاً، لذا فحديثنا هنا عن هذا التركيب مطلقاً، وقد قال الفاسي مشيراً إلى أنه يراد به الكعبة ما نصه: «ومن أسمائها المسجد الحرام، لقوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[6] والمراد به الكعبة بلا خلاف»[7] ويتأيد إطلاق المسجد الحرام على الكعبة بالحديث الشريف

(١) الصحاح، بكك، وأخبار مكة ١/٢٨٠.
(٢) الجامع اللطيف ٩٩.
(٣) الجامع اللطيف ٩٩.
(٤) وقد أعددنا بحثاً خاصاً عن مكة وبكة في التراث اللغوي، سينشر تباعاً إن شاء الله تعالىٰ.
(٥) البقرة ١٤٤ـ ١٤٩ـ ١٥٠ـ ١٩١ـ ١٩٦ـ ٢١٧، المائدة ٢، الأنفال ٣٤، التوبة ٧ـ ١٩ـ ٢٨، الإسراء ١، الحج ٢٥، الفتح ٢٥ـ٢٧. وانظر المعجم المفهرس ١٩٨.
(٦) البقرة ١٤٤.
(٧) شفاء الغرام ١/٢٠٧.

«صلاةٌ في مسجدي أفضلُ من ألفِ صلاة فيما سواه إلا الكعبةَ»[1].

ومما ورد وليس المراد منه الكعبة قوله تعالىٰ: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2] فالمراد به هنا هو مكة المكرمة[3].

«والحرام» الواقع صفة للمسجد هو مصدر بمعنىٰ المحرم، فإن قيل: لماذا ذُكرَ المسجدُ الحرامُ مراداً به الكعبةَ في بعض الآيات ولم تذكر الكعبةُ ابتداءً؟ فالجوابُ فيما ذكره النسفي مفسّراً قوله تعالىٰ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ قال: «وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين»[4]، ومن المفيد أن نذكر ما أشار إليه الشوكاني في تفسيره لقوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إذ قال: «ولا خلاف أن المراد من شطر المسجد هنا الكعبة»[5].

وأخيراً لا شك أن الكعبةَ سُمِّيَتْ بالمسجد الحرام في الآيات الدالة على ذلك لاشتماله عليها والله أعلم.

### ٤ ـ البيت:

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (١٥) مرة في بعضها مفردة[6] وفي بعضها موصوفة بالنعوت (الحرام أو المحرم أو العتيق)[7] وبعضها

(١) أخرجه النسائي ٢/٦٠٩، وفي صحيح مسلم ٩/١٦٩ عن ميمونة «إلا مسجد الكعبة».
(٢) الفتح ٢٥ .
(٣) الجامع اللطيف ١٠٠ .
(٤) تفسير النسفي ١/٩٧ ، وانظر الجامع اللطيف ١٥.
(٥) فتح القدير ١/١٥٣ .
(٦) البقرة ١٢٥ ـ ١٢٧ـ١٥٨ ، آل عمران ٩٦ـ ٩٧ ، الأنفال ٣٥، الحج ٢٦ ، قريش ٣ .
(٧) المائدة ٩٧ ، الحج ٢٩ـ٣٣، الطور ٤ .



مضاف إلى الضمير العائد إلى الله سبحانه وتعالىٰ[1]، وسنأتي على ذكرها الواحدة بعد الأخرىٰ.

«أ» أما البيت فقد أُطلِقَ مراداً به الكعبة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[2]، وسمي بيتاً كما قال الشوكاني لأن له سقفاً وجدراً وهي حقيقة البيت وإن لم يكنْ به ساكنٌ[3]. والظاهر أنه ذُكِرَ في هذا الموضع بخلاف المواضع الأخرىٰ التي ذكر فيها لفظ البيت مراداً به الكعبة لأن التنكير يتناسب مع السياق العام للآية وهو الإخبارُ عن شيءٍ مجهولٍ يتمثَّلُ في معرفةِ أول بيتٍ وُضِعَ على ظهر الأرض ـ والله أعلم ـ، أما الآياتُ الأخرىٰ[4] التي ورد فيها لفظ البيت فجاءت معرفة بـ (أل) العهدية لأن العربَ صارتْ بعد وضعه على عهدٍ به ومعرفةٍ، أما الآن فـ(أل) الداخلةُ على البيت دالةٌ على إرادة الغلبةِ فصارت لفظةُ البيتِ علماً على الكعبةِ المشرفة، قال ابن ظهيرة مشيراً إلى ذلك بعد إيراده قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾[5] ما نصه «المرادُ بالبيت الكعبة لأنه غالبٌ عليها كالنَّجْم للثريا»[6]، وقد وردت لفظة البيت علماً بالغلبة على الكعبة في كلام العرب قال أبو قيس بن الأسلت الخزرجي يريد قريشاً:

قوموا فصلُّوا ربَّكم وتعـوَّذُوا ... بأركانِ هذا البيتِ بينَ الأخاشبِ[7]

(١) إبراهيم ٣٧، البقرة ١٢٥ ، الحج ٢٦ . وانظر المعجم المفهرس ١٤٠ .
(٢) آل عمران ٩٦ .
(٣) فتح القدير ٢/٩٧ .
(٤) انظر البقرة ١٢٥ـ١٢٧ـ١٥٨ ، آل عمران ٩٧، الأنفال ٣٥، الحج ٢٦، قريش ٣ .
(٥) البقرة ١٢٧ .
(٦) الجامع اللطيف ١٤ ، وانظر الكشاف ٩٥ .
(٧) إتحاف الورىٰ ١/٤٣.

وقال عبد المطلب:

إنَّ عدو البيت من عاداكا  امنعهم أن يُخربوا قُراكا[1]

ولا تكاد نرى كتاباً في السيرة النبوية أو التاريخ إلا ولفظةُ البيتِ تُذكَرُ على أنها علَمٌ على هذا البناءِ المقدَّس[2]. ووردت لفظة البيت مضافةً إلى الضمير الدالِّ على الله سبحانه وتعالى ثلاث مرات، الأولى في قوله تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[3]، والثانية في قوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[4] والثالثة في قوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[5].

* وأضافتِ العربُ لفظةَ البيت إلى لفظ الجلالة مريدين به الكعبة المشرفة فقالوا: بيتُ الله، من ذلك قولُ زيد بن عَمْرو بن نُفَيلٍ حين لقي حَبْراً من أحبارِ الشام إذ سأله هذا الحَبْرُ: مِمَّنْ أنتَ؟ فقال زيدٌ: من أهلِ بيتِ الله، من أهلِ الشوك والقَرَظِ[6]، وقد قال الزِّبْرِقانُ بن بدرٍ لرجلٍ من بني عَوفٍ كان قد هجا أبا جهلٍ وتناولَ قريشاً:

أتـدري من هجـوتَ أبا حبيب  سـليلَ خضـارمٍ سـكنوا البطاحا
أزادَ الركـبِ تَذكُـرُ أم هشـاماً  وبيـتَ الله والبلـدَ اللُّقاحـا[7]

ومنه قول رجل من بني أسد[8]:

(١) إتحاف الورى ١/ ١٣١؛ وانظر دائرة المعارف، محمد فريد وجدي ٩/ ٣٥٥.
(٢) انظر مثلا إتحاف الورى الصفحات ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠ ... الخ.
(٣) البقرة ١٢٥.
(٤) الحج ٢٦.
(٥) إبراهيم ٣٧.
(٦) إتحاف الورى ١/ ١٤٣، والقرظ شجر يدبغ به، اللسان، قرظ.
(٧) معجم البلدان ٥/ ١٨٤، وانظر إتحاف الورى ١/ ٢٤-٣٠.
(٨) الكتاب ٢/ ٨٥، واللسان، قرن.



كذبتـمْ وبيـتِ الله لا تنكحُونَها  بنـي شـابَ قَرْناها تَصُـرُّ وتَحلُبُ

وأكد ابن سيده فيما نقله ابن منظور عنه صحة هذا الإطلاق بقوله: «وبيتُ الله تعالى الكعبة»[1]، أما مبرُّ هذه الإضافة فقد بينها ابن عطية بقوله: «وأضاف الله البيتَ إلى نفسه تشريفاً للبيت، وهي إضافة مخلوقٍ إلى خالقٍ ومملوكٍ إلى مالك»[2].

* وأضافوا إلى تركيب بيت الله لفظةَ «الحرام» أيضاً، فقد ورد هذا التركيب في حديث عبد المطلب بن هاشم مع حُناطةَ الحميريِّ فكان مما قال له: «هذا بيتُ الله الحرام وبيتُ خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام»[3].

ومن المفيد أن نذكر هنا أن إطلاقَ لفظة البيت على الكعبة له دلالة معنوية، فقد ذكر صاحب اللسان نقلاً عن ابن سيده أن البيت من بيوتات العرب هو الذي يضمُّ شرفَ القبيلة ويقال: فلانٌ بيتُ قومِه أي شريفُ قومه[4]، لذلك قدسها العرب لمكانتها وهابوها لشرفها.

«ب» البيت الحرام: وُصِفَ هذا البيتُ بلفظة «الحرام» في موضعين من القرآن الكريم، أولُهما في قوله تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[5] وثانيهما في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾[6]، وأشار الجوهري إلى أن المراد بالبيت الحرام هو الكعبة قال: «والكعبة هي

(١) اللسان والقاموس، بيت، ولم أقف عليه في المخصص.
(٢) المحرر الوجيز ١/ ٤٨٢، ومناسك الكرم ١/ ٢٥٧.
(٣) إتحاف الورى ١/ ٢٦.
(٤) اللسان، بيت.
(٥) المائدة ٢.
(٦) المائدة ٩٧.

البيتُ الحرام»[1]، وأكد على ذلك ابن منظور بقوله: «وسمَّى الله تعالىٰ الكعبةَ شرَّفها الله البيتَ الحرامَ»[2]، والحرام مصدر بمعنىٰ المحرَّم، قال الشوكاني: «وسمِّيَ حراماً لتحريم الله سبحانه إياه»[3]، وبين الستجاري معنىٰ هذه الحرمة بقوله: «ولها أسماءٌ كثيرةٌ منها البيتُ الحرام لأن الله تعالىٰ حرَّمه وعظَّمه، والمرادُ بتعظيمه تعظيمُ سائر الحرم»[4].

وقد استقرت عند العرب حرمة هذا البيت فاستعملوا هذا التركيب «البيت الحرام» في لغتهم، قال عبد المطلب حين جاء أبرهةُ لهدمه:

قد أجمعوا ألاَّ يكونَ لك عبدْ ويهدموا البيتَ الحرامَ المعمودْ[5]

والظاهر أن هذا التركيب الوصفي (البيت الحرام) يجوز أن يطلق علماً على الكعبة كما لو أسمينا رجلاً بزيد الفاضل، كما يجوز أن نطلق البيتَ مراداً به الكعبة ثم وصف بلفظة الحرام وعلى هذا درج الناس.

وقد يقال: لِمَ ذُكِرَ البيتُ الحرام بعد قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾ في آية المائدة مادام البيت الحرام هو الكعبة؟ والجواب أشار إليه الزمخشري حين قال: «إن البيت الحرام هنا عطفُ بيان على جهةِ المدح لا على جهةِ التوضيح كما تجيء الصفة كذلك»[6]، لكن أبا حيان رد هذا الوجه لأن من شرط عطف البيان أن يكون جامداً، وبدهي أنه إن كان جامداً فهو خال من الإشعار بالمدح لأن الإشعار بالمدح أو الذم للمشتقات، ثم قال: «إلا أن يقال إنه لمَّا وصفت لفظةُ البيت وهي عطف بيان بقوله

(١) الصحاح ، كعب ، وانظر المخصص ١٢٨/٥ .
(٢) اللسان، بيت .
(٣) فتح القدير ٧٩/٢ .
(٤) منائح الكرم ٢٥٧/١ ، وانظر الجامع اللطيف ١٨ .
(٥) إتحاف الورى ٣٢/١ .
(٦) الكشاف ٣١١ .



الحرام اقتضىٰ المجموعُ المدحَ فيمكن ذلك»[1]، ولهذا الإشكال ذهب أبو حيان إلى أن ذكر البيت الحرام بعد لفظ الكعبة ورد لأن لفظ الكعبة قد أطلقه بعض العرب على غير البيت الحرام كالبيت الذي كان في خثعم المسمىٰ بالكعبة اليمانية، لذا بين الله تعالىٰ أن المراد هنا بالكعبة هو البيت الحرام فهو بدل من الكعبة أو عطف بيان[2]، والظاهر أن ما ذهب إليه الزمخشري هو المتجه لأنه لا يُعقلُ أن يلتبس لفظُ الكعبة عند العرب، فالعرب فرقت بين الكعبتين بإضافة الكعبة إلى خثعم أو وصفها باليمانية أو باليمامة ـ كما ذكرنا ـ وهم على دراية بأن خثعماً بنتْ هذه الكعبةَ مضاهاةً للكعبة الشامية المشهورة المعروفة، لذا يَرْجُحُ ـ كما ذكرنا ـ رأي الزمخشري بأنه عطف بيان للمدح وليس للوصف، ولكن مما يؤيد مذهب أبي حيان أن هناك قولاً عن ذي الخلَصةَ مفاده أن ذا الخلَصةَ يسمَّىٰ الكعبةَ اليمانيةَ والبيتَ الحرام يسمَّىٰ الكعبةَ الشاميةَ[3]، فوصفُ الكعبة في قوله تعالى بالبيتِ الحرامِ هو تبيينٌ للمراد بدقة، فحين ذُكِرَت لفظة الكعبة أريد تبيينها بدقة لاحتمال وقوعَ الاشتراك بين الكعبتين عند بعض العرب أي وصفت بالبيت الحرام تمييزاً لها عن الكعبة اليمانية، ومهما يكن من أمر فالإعرابان جائزان متجهان .

«ج» **البيت المحرم** : أطلق على الكعبة في قوله تعالىٰ على لسان سيدنا إبراهيم ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾[4] فالإضافة إلى الضمير الراجع إلى الله سبحانه وتعالىٰ هو من باب التشريف والتعظيم، أما وصفه بالمحرم ـ وهو اسم مفعول ـ فيمكن القول فيه إنه يتفق مع

(١) البحر المحيط ٢٥/٤ .
(٢) البحر المحيط ٢٥/٥ .
(٣) انظر أخبار مكة ٣٧٥/١ الملحقات . نقلا عن معجم البلدان ٤٥٣/٣ ـ ٤٥٨ .
(٤) إبراهيم ٣٧ .

وصفه بلفظة (الحرام)، لأننا ذكرنا أن الحرام بمعنى المحرم فتستوي الدلالتان ـ والله أعلم ـ فإن قيل: هل يمكن تلمسُ فرقٍ بين الوصفِ بالحرام والوصفِ بالمحرم؟ فالجوابُ أن الوصفَ باسم المفعول فيه دلالة على أنه البيت الذي حُرِّمَ أي حصل له التحريم بعد أن لم يكن، أما الوصف بالمصدر فالمراد أن حرمة البيت قد حصلت وثبتت له واستمرت فيه من غير التفات واهتمام إلى وقت الحصول بل الاهتمام متجه إلى الثبوت والاستمرار، ولعله بناءً على هذه الدلالة وردتِ الآيةُ التي فيها الوصف اسم مفعول على لسان سيدنا إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ. أما الآيتان اللتان ورد فيهما الوصف بالمصدر فقد جاءتا خطاباً من الله سبحانه وتعالى في سياقات تقريرية إخبارية لأن حرمةَ البيت قد استقرت وثبتت والله تعالى أعلم.

وقد أظهر الزمخشري معنى كون هذا البيت مُحرَّماً فقال: «وقيل للبيت: المحرَّمُ لأن الله حرَّمَ التعرضَ له والتهاونَ به وجعلَ ما حوله حرماً لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنَّعاً عزيزاً يهابه كلُّ جبار كالشيء المحرم الذي حقه أن يُجتنَب، أو لأنه محترمٌ عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها، أو لأنه حُرِمَ على الطوفان أي مُنِعَ منه، كما سمي عتيقاً لأنه أُعتِقَ منه فلم يُستَوْلَ عليه»[1]، وأضاف الآلوسي بعد نقله ما ذكره الزمخشري قائلاً: «وأبعدَ من قال إنه سمي محرماً لأن الزائرين يحرِمونَ على أنفسهم أشياءَ كانت حلالاً عليهم»[2].

«د» **البيت العتيق**: ورد وصفُ البيت بالعتيق في آيتين كريمتين، الأولى في قوله تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[3] والثانية في قوله

(١) الكشاف ٥٥٣.
(٢) روح المعاني ١٣/٢٣٧.
(٣) الحج ٢٩.



تعالى: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[1].

وقد كثرت الأقوال المعللة لوصف البيت بالعتيق، وهي:

«١» أنه سمي بذلك لأن الله سبحانه وتعالى أعتقه من الجبابرة فلم يقدرْ عليه جبار ولم يدَّعه أحدٌ منهم[2]، يؤيده حديث ابن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنما سمَّى الله البيتَ العتيقَ لأنه أعتقَهُ من الجبابرة فلم يظهرْ عليه جبارٌ قطُّ»[3] وإلى هذا ذهب ابن مجاهد وابن أبي نجيح وقتادة[4]، ويندرج تحت هذا التفسير ما نسب إلى مجاهد أيضاً إذ قال في واحد من أقواله: إنه سُمِّيَ بذلك لأنه لم يُرِدْهُ أحدٌ بسوء إلا هلَكَ[5].

وعرض أبو حيان ما يؤيد هذا القول أيضاً بحوادث تاريخية فقال: «كم جبارٍ سار إليه فأهلكه الله؟ قصده تُبَّعٌ ليهدمه فأصابه الفالج فأشار الأحبار عليه أن يكفَّ عنه وقالوا: له رَبٌّ يمنعه، فتركه وكساه وهو أول من كساه، وقصده أبرهةُ فأصابه ما أصابه، وأما الحجاج فلم يقصد التسليط على البيت لكن تحصَّنَ به ابنُ الزبير فاحتالَ لإخراجه ثم بناه»[6]، ونقل الآلوسي ما ذكره ابنُ حيان وأضاف: «ولعل ما وقع من القرامطة وإن أخذوا الحجرَ الأسودَ وبقي عندهم سنين من هذا القبيل، ويقال فيما يكون آخر الزمان من هدم الحبشة إياه وإلقاء أحجاره في البحر: إن

(١) الحج ٣٣.
(٢) معاني القرآن للنحاس ٤/٤٠٣، والكشاف ٦٩٤، والمفردات ٣٢١، وأخبار مكة ١٨٩، وشفاء الغرام ١/٢٠٦.
(٣) انظر الحديث في الدر المنثور للسيوطي ١٠/٤٨٠، وانظر روح المعاني ١٧/١٤٦.
(٤) البحر المحيط ٦/٣٦٥، وروح المعاني ١٧/١٤٧، والدر المنثور ١٠/٤٨٠.
(٥) اللسان، عتق، والدر المنثور ١٠/٤٨٠.
(٦) البحر المحيط ٦/٣٦٥.

صح إن ذلك من أشراط الساعة التي لا ترِدُ نقضاً على الأمور التي قيل باطرادها»[1].

«٢» أنه سمي بذلك لِقِدَمِهِ، قال النحاس: «وقال الحسن: سمّي العتيق لقدمه»[2]، ويتأيد هذا القول بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾[3]. والعتيق في اللغة هو القديم من كل شيء[4]، ونسب هذا القول أيضاً إلى مجاهد وعطاء بن يسار ومحمد بن كعب القرظي[5]، وقواه الآلوسي فقال: «وهذا هو المتبادر»[6]، لكنه رجح الرأي الأول كما سنذكر بعد.

«٣» أنه سمي بذلك لأنه أُعتِقَ من الغرق أيام الطوفان، وذلك على القول إنه رُفِعَ زمنَ الطوفان، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[7] وأضاف ابن منظور بعد ذكره الآية الكريمة: «وهذا دليل على أن البيت رفع وبقي مكانه»[8] ونسب هذا القول إلى سعيد بن جبير وإلى مجاهد أيضاً[9].

«٤» وقيل: سُمي عتيقاً لأنه لم يملكه أحد، قال الزمخشري: «وعن

(١) روح المعاني ١٤٧/١٧.
(٢) معاني القرآن ٤٠٣/٤، والكشاف ٦٩٤، والمحرر الوجيز ٢٧١/١٠، والدر المنثور ٤٨١/١٠، وروح المعاني ١٤٧/١٧.
(٣) آل عمران ٩٦.
(٤) اللسان، عتق، وانظر المحرر الوجيز ٢٧١/١٠.
(٥) أخبار مكة ٨٩/١، وانظر المحرر الوجيز ٢٧١/١٠.
(٦) روح المعاني ١٤٧/١٧.
(٧) الحج ٢٦.
(٨) اللسان، عتق.
(٩) الكشاف ٦٩٤، والمحرر الوجيز ٢٧١/١٠، واللسان، عتق، والدر المنثور ٤٨٠/١٠، والجامع اللطيف ١٩.



مجاهد: لم يُمْلَكْ قَطُّ»[1] أي لم يُمْلَكْ موضعُه[2]، ووضح ابن ظهيرة هذا القول قائلاً: «وقيل لأنه كريم على الله، لأنه لم يَجْرِ عليه ملك لأحد من خلق الله، فلا يقال بيتُ فلانٍ وإنما يقال بيتُ الله»[3].

«٥» وقيل: سمي بذلك لأن الله سبحانه وتعالىٰ يَعْتِقُ فيه رقاب المذنبين من العذاب ومن النار[4]، ولعل مما يؤيد ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمىٰ أبا بكر عتيقاً، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار» فمن يومئذ سمي عتيقاً[5]، وضعف ابن عطية هذا التفسير بقوله: «وهذا يرده التصريف»[6]، وشرح أبو حيان ذلك التضعيف ورده بقوله: «ولا يرده التصريف، لأنه فسره تفسير معنىٰ، وأما من حيث الإعراب فلأن العتيق فعيل بمعنىٰ مُفْعِلٍ أي معتق رقاب المذنبين، ونسب الإعتاق إليه مجازاً إذ بزيارته والطواف يحصل الإعتاق وينشأ عن كونه معتقاً أن يقال فيه: يعتق فيه رقاب المذنبين»[7].

«٦» وقيل: سمي بذلك لشرفه وجودته[8]، يؤيده أن من معاني العتيق في اللغة: الكريم الرائع من كل شيء وقد قيل للكريم عتيق، ويقال: ما أبين العتق في وجه فلان يعني الكرم، وامرأة عتيقة جميلة

(١) الكشاف ٦٩٤.
(٢) انظر البحر المحيط ٣٦٥/٦، وروح المعاني ١٤٧/١٧، وانظر المحرر الوجيز ٢٧١/١٠ إذ قال: «وقالت فرقة: سمي عتيقاً لأنه لم يملك موضعه قط».
(٣) الجامع الصغير ١٩، والحق أن هذا التعليل ممكن أن يندرج تحت السبب الأول.
(٤) المحرر الوجيز ٢٧١/١٠، والجامع اللطيف ١٩.
(٥) اللسان، عتق، وانظر الحديث في سنن الترمذي ٣١٧/٥.
(٦) المحرر الوجيز ٢٧١/١٠.
(٧) البحر المحيط ٣٦٥/٦، وانظر روح المعاني ١٤٧/١٧.
(٨) الكشاف ٦٩٤، والجامع اللطيف ١٩.

كريمة[1]، وقال الزمخشري: «وقيل: بيت كريم من قولهم: عِتَاقُ الخيل والطير»[2]، وتبعه ابن عطية قائلاً: «ويحتمل أن تكون العتيق صفةَ مدح تقتضي جودة الشيء»[3]، ونسب الآلوسي هذا الرأي لابن جبير[4].

«٧» ولعله سمي عتيقاً لجماله، فهو بهذا الشكل من البناء وبهذا الموضع ـ في واد غير ذي زرع ـ جميل، فقد قيل: إن أبا بكر الصديق لقب بالعتيق لجماله[5]، ولعل البيت وصف بالعتق لشرفه المعنوي وجماله الحسي معاً والله أعلم.

ولقد اتجه أكثر أهل العلم إلى القول الأول وهو أنه سمي بالعتيق لأنه أعتق من الجبابرة، فقد نص ابن عطية ـ بعد أن أشار إلى حديث ابن الزبير الذي ذكرناه ـ على أنه «لا نظر مع الحديث»[6]، وقال ابن منظور بعد ذكره عدداً من الآراء «والأول أَوْلَى»[7]، وإلى هذا نحا أيضاً الآلوسي إذ وصف رأي الحسن القائل بأنه سمي عتيقاً لأنه قديم بأن هذا الرأي هو المتبادر ـ كما ذكرنا ـ وأضاف مرجحاً الرأي الأول بقوله: «إلا أنك تعلم أنه إذا صح الحديث لا يعدل عنه»[8].

وأخيراً لا مانع من القول إنه سمي عتيقاً لكل ما ذكر والله أعلم.

«هـ» قادس: ذكر هذا الاسم ابن منظور بقوله: «والقادس البيتُ

(١) المفردات ٣٢١، واللسان، عتق.
(٢) الكشاف ٦٩٤.
(٣) المحرر الوجيز ١٠/٢٧٢.
(٤) روح المعاني ١٧/١٤٧.
(٥) اللسان، عتق، والمستطرف ٢/٦٦.
(٦) المحرر الوجيز ١٠/٢٧١.
(٧) اللسان، عتق، وإلى هذا ذهب ابن ظهيرة قال في الجامع اللطيف ١٩: «والقول الأول هو المعتمد» وتبعه السنجاري في منائح الكرم أيضاً ١/٢٥٧.
(٨) روح المعاني ١٧/١٤٧.



الحرام»[1]، ونص الأزرقي على ذلك بقوله أيضاً: «وكان البيت يدعى قادساً»[2]، ووضح ابن ظهيرة سبب هذه التسمية حين عرض لهذا الاسم ضمن أسماء مكة فقال: «ومن أسمائها أي مكة القادس، نقله الفاسي عن صاحب المطالع، وهو مأخوذ من التقديس أي التطهير يعني أنها تطهر الذنوب»[3].

ومما يتصل بهذا الاسم:

١- المقدسة: قال ابن ظهيرة في أسماء مكة: «ذكره النووي وغيره، والمعنى فيه كما في الذي قبله»[4].

٢- القادسة: قال عنها ابن ظهيرة أيضاً في أسماء مكة: «ذكره العز بن جماعة ولم يعزه، أقول: ويكون المعنى والله أعلم الطاهرة على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوي»[5].

«و» ناذر: ذكرها صاحب القاموس على أنها من أسماء مكة لكن الأزرقي نص على أن البيت يدعى ناذراً[6]، والظاهر أنها سميت بذلك لأنه يُنْذَرُ إليها الهدي وغيره، ومجيء اسم الفاعل بمعنى المفعول جائز على حد قول الشاعر:

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واقعدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

(١) لسان العرب، قدس.
(٢) أخبار مكة ١/٢٨٠.
(٣) الجامع اللطيف ١٠٠، وانظر القاموس المحيط، قدس.
(٤) الجامع اللطيف ١٠٠.
(٥) الجامع اللطيف ١٠٠.
(٦) القاموس المحيط، نذر، وأخبار مكة ١/٢٨٠.

ويحتمل أنها مشتقة من نذِر (بكسر الذال)، يقال: نذِر القوم بالعدو إذا علموا[1]، ومنه نذيرة الجيش أي طليعتهم الذي ينذرهم أمر عدوهم أي يعلمهم[2]، فعلى هذا يكون النافر هو من يعلم القوم بما قد يصيبهم من العدو، فكأن الكعبة نافرة من أراد بها السوء بما سيصيبه، وهذا المعنى يتفق مع معنى بكها للجبابرة.

«ز» نادر: ذكرها الفاسي في شفاء الغرام ضمن أسماء الكعبة عازياً إياها إلى الأزرقي في أخبار مكة وضبطها بالدال، لكن الأزرقي ضبطها بالذال، وقد ذكر محقق شفاء الغرام أنها عند الأزرقي بالذال لكنه أبقاها مضبوطة بالدال أي نادر، والظاهر أنه تركها كذلك لوضوحها في المخطوط[3]، ويبدو أنها من أسماء الكعبة أيضاً سميت بذلك لأنها نادرة من حيث بنيانها وشكلها وقيمتها وتفردها بذلك كله، قال صاحب القاموس: «والندرة: القطعة من الذهب ... ونادرة الزمان وحيد العصر»[4]، وربما سميت بذلك لأن العرب كانت تأتي إليها في الندرة «أي بين الأيام»[5]، ولعل مما يؤنس أن لفظة نادر من أسماء الكعبة وليست تصحيفاً لناذر أن ابن ظهيرة ذكرها ضمن أسماء مكة مؤنثة أي (ناذرة) لذا يجوز أن تطلق على البيت لاشتمال مكة على البيت، ولعلهم ذكروها لتخصيصها بالبيت فرقاً بينها وبين نادرة التي أطلقوها مؤنثة على مكة، يضاف إلى ذلك أن لفظة (نَبْدَر) ـ بالراء ـ من أسماء المدينة على ما حكاه صاحب القاموس[6]، فلعل ذلك يؤنس أن نادراً من أسماء مكة

(١) الصحاح، نذر.
(٢) اللسان، نذر.
(٣) انظر أخبار مكة ١/٢٠٨، وشفاء الغرام ١/٢٠٦.
(٤) القاموس المحيط، ندر.
(٥) القاموس المحيط، ندر.
(٦) أو هو بدالين، القاموس المحيط، ندر.



فكلاهما (أي مكة والمدينة) من البقاع الطاهرة والمقدسة، وهذا ـ إن صح ـ يصح أن يطلق على الكعبة نادر لاشتمال نادر ـ أي مكة ـ عليها.

«ح» البَنِيَّةُ: ذكرها الجوهري بقوله: «والبنية على فعيلة الكعبة، يقال: لا ورب هذه البنية ما كان كذا وكذا»[1]، وتبعه ابن سيده فقال: «البنية: الكعبة»[2]، وأكد ذلك ابن منظور فبين ضبطها وسبب التسمية بها فقال: «والبنية على فعيلة: الكعبة لشرفها إذ هي أشرف مبنى ... وكانت تدعى بنية إبراهيم عليه السلام ... وفي حديث البراء بن معرور: رأيت ألا أجعل هذه البنية مني بظهر: يريد الكعبة»[3]، وقد ذكر الفاسي هذا الاسم عازياً إياه للقاضي عياض في كتابه المشارق ونقل أيضاً عن الأزرقي ما يؤكد إطلاق هذا الاسم على الكعبة قال: «وذكر الأزرقي ما يشهد بذلك لأنه روى خبراً عن الواقدي فيه أذان بلال للظهر يوم فتح مكة على ظهر الكعبة وسماع قريش لذلك وإنكارهم له، وفيه وقال الحكم بن أبي العاص: هذا والله الحديث الجليل أن يصبح عبد بني جمح ينهق على بنية أبي طلحة»[4].

«ط» الدّوار: بضم الدال وفتحها[5]، قال ابن منظور نقلاً عن ابن سيده: «كلاهما عن كراع من أسماء البيت الحرام»[6]، وواضح أن سبب هذه التسمية يعود إلى الدوران حول الكعبة، فالدُّوار جمع دائر، ودَوَّار

(١) الصحاح، بنى.
(٢) المخصص ٥/١٢٢.
(٣) اللسان، بنى، وفي القاموس المحيط «بنية كغنية» والظاهر أنها كعنية فهي تصحيف، وضبطها محقق شفاء الغرام ١/٢٠٧ بضم الباء مصغرة وليس سديداً والله أعلم.
(٤) شفاء الغرام ١/٢٠٧، وانظر أخبار مكة ١/٢٧٥، وأبو طلحة هو عبد الله بن عبد العزى صاحب الكعبة، ولذلك أضافها الحكم إليه.
(٥) اللسان والقاموس، دور، وانظر شفاء الغرام ١/٢٠٧.
(٦) اللسان، دور.

صيغة مبالغة، فاجتمع في الضبطين كثرةُ دوران الطائفين حول الكعبة، والظاهر أن بعض العرب تأثروا بهذا المشهد فكان لهم على ما حكاه ابن منظور صنم يتصبونه ثم يدورون حوله اسمه: الدُّوَّار بضم الدال، ثم قال: والأشهر في اسم الصنم دَوَّار بالفتح[1].

«ي» القرية القديمة: انفرد بهذا الاسم الأزرقي إذ قال: «ويدعى (أي البيت) القرية القديمة»[2]، وتبعه في ذلك الفاسي أيضاً[3]، أما ابن ظهيرة فقد ذكر القرية ضمن أسماء مكة[4] لقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾[5]، أما وصفها بالقديمة فذلك راجع - والله أعلم - إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾[6]، لذا فتسمية الكعبة بالقرية القديمة تتفق مع واقعها اللغوي، كما أن تسميتها بالبيت العتيق يؤنس بصحة هذا الإطلاق، وقد مر معنا أن القدم في اللغة هو العتق.

«ك» القبلة: وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾[7]، فقد ذهب بعضُ المفسرين إلى أن المراد منها هو الكعبة، قال النسفي: «وهي الكعبة»[8].

«ل» البيت المعمور: ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾[9]،

(١) اللسان، دور.
(٢) أخبار مكة ١/٢٨٠.
(٣) شفاء الغرام ١/٢٠٦.
(٤) الجامع اللطيف ٩٩.
(٥) النحل ١١٢.
(٦) آل عمران ٩٦.
(٧) البقرة ١٤٣.
(٨) مدارك التنزيل ١/٩٦، وانظر فتح القدير ١/١٥١.
(٩) الطور ٤.



والمشهور أنه بيت في السماء السابعة يدخله كلَّ يوم سبعونَ ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة، وعن علي وابن عباس أنه حيال الكعبة بحيث لو سقط سقطت كلها[1]، ولكن بعض أهل العلم ذهبوا إلى أن المراد به هنا هو الكعبة المشرفة، قال الزمخشري: «وقيل: الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين»[2]، ونسب هذا القول إلى ابن عباس والحسن[3]، وبين الشوكاني الفرق بين القولين أي قول من يقول إنه في السماء ومن يقول إنه الكعبة، قال: «والبيت المعمور في السماء السابعة وقيل في السماء الدنيا، وقيل هو الكعبة، فعلى القولين الأولين يكون وصفه بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكة ويعبد الله فيه، وعلى القول الثالث يكون وصفه بالعمارة حقيقة أو مجازاً باعتبار كثرة من يتعبد فيه من بني آدم»[4].

«م» اليمانية: نقل ابن منظور عن أبي عبيد سبب إطلاق هذه اللفظة على الكعبة فقال: «ويقال: إن مكة من أرض تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال للكعبة يمانية»[5]، والظاهر أن العرب إذا قالت اليمانية من غير لفظ الكعبة كانت تذهب بها إلى الكعبة المشرفة، وإذا سبقت بلفظ الكعبة كقولهم الكعبة اليمانية كانت تذهب إلى كعبة خثعم (ذي الخلصة) والله أعلم، والسياق والموضع له دور في تحديد المراد منها، فإن كان القائل في جهة شمال الكعبة وما فوقها من جهة الشام وقال: اليمانية فالإشارة والله أعلم إلى الكعبة، وإن كان من جهة يمين الكعبة ناحية اليمن وقال: الكعبة فالمراد الكعبة الشامية. والله تعالى أعلم.

(١) روح المعاني ٢٧/٢٧، وانظر خلافهم حوله في الجامع اللطيف ٤٨.
(٢) الكشاف ١٠٥٥.
(٣) روح المعاني ٢٧/٢٧، والجامع اللطيف ٤٨.
(٤) فتح القدير ٥/٩٤.
(٥) اللسان، يمن.

هذه هي الأسماء والنعوت التي تجمعت لدينا مما وقفنا عليه من كتب التفسير واللغة والتاريخ، أضفنا إليها ما بدا لنا أنه يمكن أن يندرج تحتها، وقد رأيت أن العرب خصت الكعبة وأسماءها ونعوتها ببعض الأساليب الخاصة لمنزلتها السامية عندهم ومكانتها العالية في قلوبهم، وقد مر معنا أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ أطلق على الكعبة وجاء مقسماً به، والله سبحانه وتعالى يقسم بكل ما هو عظيم، ولأن هذه الألفاظ مقدسة ومرتبطة ببقعة مقدسة مشرفة فمن البدهي أن تتنوع أساليب العرب في استخدامها، فمما التقطته:

١- أنهم أكثروا القسم بهذه اللفظة ومرادفاتها، من ذلك:

أن العرب خصت التاء بكونها حرف جر وقسم للفظ الجلالة كقوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾[1]، وبجرها للفظة الرحمن فقالوا: تالرحمن لأفعلنّ، وبجرها للفظة رب مضافة إلى الكعبة فقالوا فيما حكاه الأخفش: «ترب الكعبة»[2]، ويتصل بهذا قول هند بنت أبي سفيان ترقص ابنها عبد الله بن الحارث النوفلي:

والله ربّ الكعبة ... لأنكحنّ بنّة
جارية خدبّة ... مُكرّمة محبّبة
تحبّ من أحبّه ... تُبْغِضُ أهلَ الكعبة[3]

فالقسم هنا بلفظ الجلالة، وجاءت لفظة رب مضافة إلى الكعبة وهي صفة للفظ الجلالة أو عطف بيان أو بدل منه كما أضيفت لفظة أهل إلى الكعبة في البيت الثالث، وكانت العرب تصف أهل مكة بأنهم أهل الله،

(١) الأنبياء ٥٧.
(٢) رصف المباني ١٧٢.
(٣) انظر الجمهرة، مادة بجج ١/١٢٤، واللسان، ببب.



قال صاحب إتحاف الورى: «فلما رأت جميع العرب ما أصاب الحبشة من النقمة أعظمت قريشاً وأهل مكة وقالوا: هؤلاء أهل الله»[1].

وقد ذكرنا من قبل أنهم كانوا يقولون: نحن من أهلِ بيتِ الله، تشريفاً لهم بهذه الإضافة، وفي الصحاح واللسان أنه «يقال: لا وربّ هذه البنية ما كان كذا وكذا ...»[2]، وأضاف صاحب اللسان قائلاً: «وقد كثُر قسمُهم بربّ هذه البنية»[3].

ومن أساليب قسمهم بالكعبة أنهم أضافوها إلى الله تشريفاً وتعظيماً وأقسموا بها منصوبة بنزع الخافض، قال ثعلب في أماليه: «ولا يجوز النصب إلا في حرفين:

لا كعبةَ الله ما هجرتُكم ... إلاّ وفي النفس منكم أربُ

والحرف الآخر: قضاءَ الله قد شَفَعَ القُبورا»[4].

والتقدير لا وكعبةِ الله، وقضاءِ الله، فحذف حرف الجر وانتصبت الكعبة وقضاء بنزع الخافض.

ومن ذلك قسمهم بالبيت العتيق، قال الشاعر[5]:

أما والله عالم كلّ غيبٍ ... وربّ الحجر والبيت العتيق
لوانك يا حسين خُلِقْتَ حراً ... وما بالحر أنت ولا الخليق

(١) إتحاف الورى ١/٤٢ ـ ١٦٣.
(٢) الصحاح واللسان، بنى.
(٣) اللسان، بنى.
(٤) مجالس ثعلب ٢/٣٢٣، وانظر المزهر ٢/١٠٢.
(٥) انظر شرح التسهيل لابن مالك ١/٣٧٣ قيل أنشده الفراء، وقيل بعض البغداديين.

ومن ذلك فهم أقوال الأسدي الذي مرّ معنا من قبل:

كذبتـمْ وبيـتِ الله لا تنكحُونَها  بني شـابَ قَرْناها تَصُرُّ وتَحلُبُ[1]

فأقسم بلفظة البيت مضافاً إلى لفظ الجلالة.

٢- أنهم جمعوا الكعبة جمع تكسير وسلامة، فقالوا: تجمع على كُعُبٍ وكِعابٍ وكَعَبَاتٍ[2].

٣- أنهم جعلوا (أل) الداخلة على لفظ الكعبة والبيت دالة على الغلبة، وذلك لشهرتهما في الدلالة على هذا البنيان المشاهد المقدس، فهما علمان بالغلبة، ولمكانتهما في نفوس العرب والمسلمين، بقيا مهيأين لكثرة النعوت على مر الدهور، فيقال: الكعبة المعظمة والمشرفة والبيت المعمور والبيت الشريف ... إلى آخر ما نسمعه الآن من الحجاج والمعتمرين، كما أن الجمل الدعائية كَثُرَ استعمالها بعد لفظة الكعبة ومرادفاتها، فيقال: الكعبةُ ـ حرسها الله ـ زادها الله شرفاً وتعظيماً وتكريماً ... إلى آخر ذلك، وقد مر معنا من قبل المركبات الوصفية التي وردت في القرآن الكريم مثل: المسجد الحرام والبيت المحرم ... كل ذلك أدىٰ إلى إثراء المعجم اللغوي المختص بهذه البقعة المشرفة ودل من جانب آخر على مكانة هذه البقعة الطاهرة في قلوب المسلمين ـ حفظها الله من كل غشوم ظالم ـ.

(١) انظر الكتاب ٢/٨٥ واللسان، قرن.

(٢) المخصص ٥/١٢٨، وذكر ابن منظور أن كعبا وكعبات ذكرهما اليماني لم يحك ذلك غيره، انظر اللسان والقاموس المحيط، كعب.



## الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة مع أسماء الكعبة المشرفة يحسن أن نسجل أهم ما توصلنا إليه:

١- غلب على تفسير أسماء الكعبة اختلاف الروايات المؤيدة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وكلها تتعاضد لتكوّن تفسيراً واضحاً يدل على اشتقاقاتها اللغوية، وقد بدا واضحاً أثر الدرس النحوي والصرفي في إظهار الاشتقاقات اللغوية لأسماء الكعبة، الأمر الذي يدل على العلاقة الوثيقة بين العلوم العربية والشرعية.

٢- أن إطلاق بعض هذه الألفاظ على الكعبة ينسحب أيضاً على المسجد الحرام وعلى مكة المكرمة، والعكس صحيح، إما من تسمية الكل بالجزء أو العكس.

٣- غلب على بعض هذه الأسماء التركيب الوصفي مثل: البيت الحرام والبيت المحرم والمسجد الحرام والبيت العتيق.

٤- وردت لفظة البيت في القرآن الكريم مراداً بها الكعبة (١٦) مرة، والمسجد الحرام (١٥) مرة، وقد جاءت كلها على أن الخطاب من الله سبحانه وتعالىٰ ما عدا قوله تعالىٰ في سورة إبراهيم: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ فإنها وردت على لسان سيدنا إبراهيم واستعمل فيها المحرم مكان الحرام، فيتم التطابق بين مجموع الأعداد الواردة في لفظة البيت والتركيب الوصفي المسجد الحرام إذا استثنينا قوله تعالىٰ: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾، ولعل هذا الخلاف الذي حصل بين مجموع الأعداد مرده إلى

اختلاف جهة الخطاب، فحين كان الخطاب من الله تم التطابق العددي تماما وزاد العدد واحداً حينما ذكرت الآية على لسان سيدنا إبراهيم، ولهذا التطابق والله أعلم دلالة تتمثل في أن البيت هو المسجد الحرام، وأن المسجد الحرام هو البيت فحرمتهما واحدة منذ أن وضع البيت في هذا المكان المقدس، والله أعلم .

٥- أن هناك أسماء هي أعلام شخصية على هذا البناء الشريف كالكعبة والبيت وقادس ونادر ... الخ، وقد وصفت بعض هذه الأعلام بالحرام والمحرم والعتيق، ويجوز جعل هذا التركيب الوصفي علماً على الكعبة المشرفة .

٦- أن حرمة هذا البيت وقداسته ومهابته جعلت العرب تستخدمه في تراكيب لغوية خاصة على نحو ما رأينا .

أخيراً، أسأل الله تعالىٰ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، بعد أن يَسَّرَ أمرَهُ وسَهَّلَ حَزْنَهُ ونَجَّزَ تحريرَهُ مساءَ يوم الثلاثاء، الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية سنة ثمان وعشرين وثمانمائة وألف للهجرة النبوية، في مكة المكرمة ـ زادها الله شرفاً وتعظيماً ـ. والحمد لله رب العالمين.

## جدول أسماء الكعبة ونعوتها حسب الترتيب الألفبائي

١. بكة .
٢. البنية .
٣. البيت .
٤. البيت الحرام .
٥. البيت الشريف.
٦. البيت العتيق.
٧. بيت الله ( بيت الله الحرام ) .
٨. البيت المحرم .
٩. البيت المعمور .
١٠. الدوار .
١١. قادس .
١٢. القبلة .
١٣. القرية القديمة .
١٤. الكعبة .
١٥. الكعبة الشامية .
١٦. الكعبة المشرفة.
١٧. الكعبة المعظمة.
١٨. المسجد الحرام .
١٩. المقدسة والقادسة .
٢٠. نادر .
٢١. اليمانية .

## المصادر والمراجع


١ - إتحاف الورىٰ بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد، تحقيق: فهيم شلتوت، جامعة أم القرىٰ، مركز البحث العلمي.

٢ - أخبار مكة للأزرقي، تحقيق: رشدي ملحس، الطبعة الثامنة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٣ - البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، نشر مطابع النصر الحديثة، الرياض.

٤ - تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ.

٥ - تاريخ الكعبة المعظمة لحسين باسلامة، تعليق الدكتور يوسف الثقفي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦ - تفسير النسفي، المطبعة الأميرية بولاق، ترتيب محمود البطراوي وزميله، ١٩٣٦م.

٧ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨ - الجامع اللطيف لابن ظهيرة، المكتبة الشعبية، الطبعة الخامسة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.





٩ - الجمهرة لابن دريد - حيدر أباد - الهند، الطبعة الأولىٰ، ١٣٤٤هـ

١٠ - دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى عشرين، تأليف: محمد فريد وجدي، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ١٩٧١م.

١١ - الدر المنثور للسيوطي، تحقيق: الدكتور عبد الله التركي مع مركز هجر للبحوث، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٢ - روح المعاني للآلوسي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م.

١٣ - الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد الحميري، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت.

١٤ - سنن الترمذي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

١٥ - شرح التسهيل لابن مالك، تحقيق السيد والمختون، دار الهجرة ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

١٦ - شفاء الغرام للفاسي، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧ - صحيح سنن النسائي، تحقيق الألباني، نشر المركز الإسلامي - زهير شاويش.

١٨ - صحيح مسلم لشرح النووي المسمىٰ المنهاج، تحقيق: خليل شيحة، دار المعرفة، لبنان، الطبعة السابعة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩ - فتح القدير للشوكاني، البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

٢٠ - القاموس المحيط للفيروز أبادي، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

٢١ - الكتاب، لسيبويه، تحقيق محمد عبد السلام هارون، الهيئة المصرية للكتاب.

٢٢ - الكشاف للزمخشري، عناية خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٣ - لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر.

٢٤ - مجالس ثعلب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٠هـ ت ١٩٨٠م.

٢٥ - المحرر الوجيز لابن عطية، تحقيق: الأنصاري وآخرين، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢٦ - المخصص لابن سيده، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة.

٢٧ - المزهر للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وزملائه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده.

٢٨ - المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٢٩ - المصباح المنير للفيومي، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٣٠ - معالم التنزيل للبغوي، المكتبة لتجارية، توزيع دار الفكر.

٣١ - معاني القرآن للنحاس، تحقيق: الشيخ محمد على الصابوني،



مطبوعات جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢ - معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صابر ودار بيروت، ١٣٧١هـ - ١٩٥٥م.

٣٣ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الشعب.

٣٤ - المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٣٥ - منائح الكرم في أخبار مكة والبيت للسنجاري، تحقيق: الدكتور جميل المصري، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٦ - المنتخب من غريب كلام العرب لكراع، تحقيق: الدكتور محمد العمري، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

# المحتوى


المقدمة ..... ٥
الكعبة وسبب تسميتها بذلك ..... ٦
الكعبة اليمانية والشامية ..... ٩
بكة، واختلاف العلماء حولها ..... ١١
المسجد الحرام وعدد وروده في القرآن الكريم ..... ١٣
لماذا ذكر المسجد الحرام مراداً به الكعبة ..... ١٣
البيت، عدد وروده في القرآن الكريم ..... ١٣
لماذا سمي بيتاً؟، ولماذا ذكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ ...﴾ ..... ١٥
نوع «أل» الداخلة على لفظة البيت ..... ١٥
أضافت العرب البيت إلى لفظ الجلالة مريدين به الكعبة ..... ١٦
لماذا أضيف البيت إلى لفظ الجلالة ..... ١٧
البيت الحرام، سبب تسمية الكعبة بذلك ..... ١٨
استعمال العرب هذا التركيب في الشعر ..... ١٨
لماذا ذكر البيت الحرام بعد قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ...﴾ ..... ١٨
البيت المحرم، لماذا وصف بالمحرم ..... ١٩
هل هناك فرق بين وصف البيت بالحرام ووصفه بالمحرم ..... ٢٠
معنى حرمة البيت ..... ٢٠
البيت العتيق، وسبب وصف البيت بالعتيق ..... ٢٠
قادس وسبب تسمية الكعبة بها ..... ٢٤
المقدسة والقادسة ..... ٢٥
ناذر، وسبب تسمية الكعبة بها ..... ٢٥
نادر، وسبب تسمية الكعبة بها ..... ٢٦
البنية، ضبطها وسبب تسمية الكعبة بها ..... ٢٧





الدوار، ضبطها وسبب التسمية بها ..... ٢٧
القرية القديمة، سبب التسمية بها ..... ٢٨
القبلة ..... ٢٨
البيت المعمور، ولماذا أطلق على الكعبة المشرفة ..... ٢٨
اليمانية، سبب التسمية بها ..... ٢٩
أساليب العرب في استخدامهم للفظة الكعبة ـ القسم بإضافة لفظ الجلالة
ـ جمع الكعبة ـ نوع «أل» الداخلة عليها ..... ٣٠
كثرة نعوتها (الكعبة المعظمة والمشرفة) ..... ٣٢
كثرة الجمل الدعائية بعد لفظة الكعبة ..... ٣٢
إضافة لفظة «رب» إلى الكعبة ..... ٣٢
القسم برب هذه البنية ..... ٣٢
الخاتمة ..... ٣٣
جدول أسماء الكعبة ونعوتها حسب الترتيب الألفبائي ..... ٣٥
فهرس المصادر والمراجع ..... ٣٦
المحتوى ..... ٤٠

# بركة مكّة المكرّمة

## على التأليف اللغوي

الأستاذ الدكتور

رياض بن حسن الخوام

جامعة أم القرى - كلية اللغة العربية

المكتبة المكية

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على سيدنا المصطفى، وعلى آله وأصحابه أهل الوفا.

وبعد:

فمنذ أمد بعيد وأنا عازم على تقديم خدمة لهذه البقعة المباركة «مكة المكرمة» فوجدتها في هذه الفكرة التي سنحت لي وأنا أقرأ في كتب التراجم عن بعض اللغويين والنحويين، إذ ألفيت أن بعض التآليف التي أُلِّفَتْ في هذه البقعة الطاهرة، كُتِبَ لها القَبول عند الخاصة والعامة، وأن بعض أصحابها ذكروا ما كان لمكة من بركة على هذه الكتب على النحو الذي نراه في مقدمة كتاب الكشاف للزمخشري، والقاموس المحيط للفيروز أبادي، فرحت ألتقط ما أعثر عليه مما له صلة ببركة مكة على التآليف اللغوية أو التي لها صلة بعلوم العربية ـ من لغة ونحو وصرف ـ فوجدت بعد مدة ليست قصيرة أن هذا العمل قد أُنجِزَ على هذا النحو إذ برزت بركة مكة لديَّ ـ بعد تعريف البركة لغة واصطلاحاً ـ في أربعة مظاهر:

المظهر الأول: يتمثل في إنشاء علم وابتكار فن، فالخليل بن أحمد الفراهيدي اخترع علم العروض بعد أن دعا الله بمكة بأن يرزقه علماً لم يرزق لأحد من قبله ولا يؤخذ عن غيره، فبينت أن الخليل كان رائداً في علوم العربية كلها وليس العروض فقط.

**المظهر الثاني**: أن بعضهم دعا لولده في مكة ليكون عالماً بالنحو، أو أن يُرزقَ بعالم مبرز، مثال ذلك ابن السكيت وابن الجزري.

**المظهر الثالث**: يتضح في اشتهار بعض الكتب المؤلفة في هذه البقعة المباركة فذاع صيتها وانتشر أمرها كالجمل للزجاجي، والكشاف للزمخشري، والمغني لابن هشام، والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

**المظهر الرابع**: يبدو في تلك الحركة العلمية اللغوية الدائبة في هذه البقعة على مر السنين.

وذيلت ذلك بمعجم للعلماء اللغويين المكيين الذين لهم مؤلفات لغوية.

وانتهيت إلى عدد من النتائج سجلتها في الخاتمة, مظهرًا كيف أثرت هذه البركة على الدرس اللغوي العربي.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل مباركًا، فيعم نفعه ويجزل أجره، ويكثر ثوابه، وينتفع به بعد الموت صاحبه. اللهم آمين.

الراجي عفو ربه

أ. د. رياض بن حسن الخوّام

مكة المكرمة

١٤٢٧/١/٢٣هـ

الموافق ٢٠٠٦/٢/٢٢م



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أسبغ من نعم، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أهل الفضل والكرم.

وبعد:

فقد أنعم الله سبحانه وتعالىٰ على هذه البقعة الشريفة بنعم كثيرة، لعل من أهمها تلك البركة التي أشير إليها في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] فالآية تفيد أن البركة ملازمة للبيت منذ وضعه، لأن قوله تعالىٰ ﴿مُبَارَكًا﴾ هو حال، إما من نائب فاعل الفعل ﴿وُضِعَ﴾ أي مبارك في حال وضعه، وإما من الضمير المستقر في متعلق ﴿بِبَكَّةَ﴾ أي إن أول بيت مبارك وُضِعَ للناس، هو الذي استقر في مكة المكرمة[2] فعلى كلا الوجهين لزمت البركة البيت العتيق من حين وضعه، إلى ما شاء الله لأن هذه الحال من الأحوال الثابتة الدائمة عند النحويين[3].

(١) الآية (٩٦) من سورة آل عمران.

(٢) التبيان للعكبري ١/٢٨٠.

(٣) تأتي الحال غير منتقلة في ثلاث مسائل:

الأولى: كون عاملها مشعراً بتجدد صاحبها كقوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ النساء ٢٨.

الثانية: أن تكون مؤكدة إما لعاملها كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ مريم ٣٣، أو لصاحبها كقوله تعالى: ﴿لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ يونس ٩٩، أو لمضمون جملة قبلها مثل: زيد أبوك عطوفا.

الثالثة: أن يكون مرجعها السماع كقوله تعالى: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ آل عمران ١٨ وكقوله تعالىٰ أيضاً ﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ الأنعام ١١٤ وكالآية التي نحن بصددها، ولا مانع من القول أيضاً إن هذه الحال محكية فهي حال ماضية ثم وقع الإخبار عنها في الحال لذا فهي من الأحوال الثابتة غير المنتقلة.

ولا ريب أن بركة البيت تمتد لتشمل البقعة كلها لأن الرأي المتجه عند العلماء أن مكة كلها حرم[1].

والبركة في اللغة من الفعل برك، قال ابن فارس: «برك أصل واحد، وهو ثبات الشيء»[2] وأكد ذلك الجوهري قائلاً: «وكل شيء ثبت وأقام فقد برك»[3].

وورد عن الخليل قوله: «إن البركة هي النماء والزيادة»[4] وأوضح الأصفهاني في مفرداته العلاقة بين المعنى الأول وهو ثبات الشيء والمعنى الثاني وهو الزيادة فقال: «والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء»[5] وأضاف قائلاً: «ولما كان الخير الإلهي يصدرُ من حيث لا يحسُّ على وجه لا يُحصى ولا يحصرُ، قيل لكل ما يشاهد منه زيادةٌ غيرُ محسوسةٍ هو مبارك وفيه بركة»[6]، وقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع من البركة حاصلة في الأشخاص والأزمنة والأمكنة والنعم المتعددة والكتب أيضاً، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾[7] فيه إشارة إلى بركة الأشخاص وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[8] إشارة إلى بركة الأزمنة، وفي قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾[9]، وقوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[10] إشارة إلى بركات النعم المتعددة المختلفة.

(١) جامع البيان للطبري ٥/٥٩٧ – ٥٩٨.
(٢) مقاييس اللغة، برك ١/ ٢٣٠.
(٣) الصحاح، برك ٤/١٥٧٤.
(٤) مقاييس اللغة، برك ١/ ٢٣٠ وانظر اللسان، برك
(٥) المفردات، ٢٤.
(٦) المفردات، ٢٤.
(٧) الآية (٣١) من سورة مريم.
(٨) الآية (٣) من سورة الدخان
(٩) الآية (٩) من سورة ق.
(١٠) من الآية (٩٦) من سورة الأعراف.



أما بركة البقاع، فالآيات المتضمنة ذلك كثيرة، منها آية سورة آل عمران التي ذكرناها من قبل وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ...﴾(الآية) ومنها قوله تعالى في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾[1] ومنها قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[2]. والآيات الدالة على بركة المكان كثيرة[3].

أما بركة الكتب، فتبدو من وصفه تعالى للقرآن الكريم في عدد من المواضع بأنه مبارك، من ذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[4] ومنه قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾[5] ومنه قوله تعالى في سورة ص: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾[6].

ولفظة (مبارك) في الآيات الكريمة السابقة وقعت صفة مرفوعة للفظة كتاب، والنعت كما قال ابن يعيش: «معنى عرض للذات لازم له»[7]، وهذا يعني أن بركة القرآن الكريم ملازمة له، والظاهر أن العلماء حين نصوا على بركة بعض الكتب كانوا منطلقين من أن البركة في الأصل تصيب بعض الكتب، أي أن الكتب من الأشياء التي تقع عليها البركة، وهذا ما سوف نراه فيما بعد.

وقد امتلأت كتب الأحاديث والسيرة النبوية بالمعجزات التي تبدو منها

(١) من الآية (٣٠) من سورة القصص.
(٢) الآية (١) من سورة الإسراء.
(٣) انظر المعجم المفهرس، مادة برك ومشتقاتها، ١١٨.
(٤) من الآية (٩٢) من سورة الأنعام، ومن الآية ١٥٥.
(٥) من الآية (٥٠) من سورة الأنبياء.
(٦) من الآية (٢٩) من سورة ص.
(٧) شرح المفصل ٣/٤٧.

آثار بركة الرسول صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما حصل له في هجرته صلى الله عليه وسلم مع أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية، إذ «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في كِسرِ الخيمة خلّفها الجَهدُ عن الغنم، فسألها هل بها من لبن؟ فقالت: هي أجهد من ذلك، فقال: أتأذنين لي أن أحلُبها؟ فقالت: نعم، بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حَلَباً فاحلبها، فدعا بالشاة فاعتقلها، ومسح ضرعها، فدرت، ودعا بإناء يشبع الجماعة فحلب فيه وسقى القوم حتى رَوَوا، ثم شرب آخرَهم، ثم حلب فيه مرةً أخرىٰ عَلَلاً بعد نهل، ثم غادره عندها وذهبوا، فما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً، فلما رأىٰ اللبن عجبَ وقال: ما هذا يا أم معبد؟ قال: إنه مر بنا رجلٌ مباركٌ، من حاله كذا وكذا، فقال: صفيه، فوصفته بأحسن الأوصاف... وبقيت هذه الشاةُ إلى خلافة عمر بن الخطاب تحلبُ صباحاً ومساءً»[1].

وقد جمع الدكتور علي العلياني في كتابه (التبرك المشروع) عدداً كبيراً مما تبركه مشروع من نحو الأزمنة والأمكنة والأقوال والأفعال، الأمر الذي يدل على أن مظاهر البركة متعددة متنوعة[2]، وهذا كله يفيد أن البركة حقيقة ظاهرة في الأشخاص والبقاع والنعم المتعددة والكتب.

والمهم أن هذه البقعة الطاهرة المقدسة (مكة المكرمة) هي من البقاع المباركة، ولا شك أن هذه البركة المشار إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ...﴾ (الآية)، تشمل ما هو محسوس وما هو معنوي، ولذا ذهب عدد من المفسرين إلى تعداد أوجه البركة الحاصلة في هذا الموضع. قال الزمخشري: «(مباركاً) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمر وعكف عنده، وطاف

(١) الأنوار المحمدية، للشيخ يوسف النبهاني، ٥٨. وانظر فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٧٠٩.
(٢) انظر كتاب التبرك المشروع للدكتور علي العلياني ٢٣-٤٧.



حوله من الثواب وتكفير الذنوب»[1]. وأضاف ابن العربي إلى ذلك وجوهاً أخرىٰ للبركة فقال: «وقيل: أمن الوحش فيه، وقيل عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته»[2] ونقل أبو حيان ما ذُكرَ مضيفاً ما وقف عليه من وجوه البركة فقال: «أما بركته فلما يحصل فيه من الثواب وتكفير السيئات لمن حجه، واعتمره، وطاف به، وعكف عنده، وقال القفال: يجوز أن تكون بركته ما ذكره في قوله تعالىٰ: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3] وقيل: بركته دوام العبادة فيه ولزومها، لأن البركة لها معنيان أحدهما: النمو والآخر: الثبوت، وقيل: بركته تضعيفُ الثواب فيه. وقال الفراء: سمي مباركاً لأنه مغفرة للذنوب[4] وقال ابن جرير: بركته تطهيره من الذنوب، وقيل: بركته أن من دخله أمن حتىٰ أبو حش[5] فيجتمع فيه الظبي والكلب»[6]. وقد أفاد وأجاد ابن العربي حين قال بعد ذكره بعض وجوه البركة ما نصه «والصحيح أنه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة وذلك بجميعه موجود فيه»[7].

ومن وجوه البركة الحاصلة في هذا الموضع تلك البركة التي تبدو واضحة في الدرس اللغوي، لقد تسابق العلماء وتسارعوا إلى هذا الموضع الكريم داعين الله سبحانه وتعالىٰ أن يهبهم من فضله، لتنال أعمالهم العلمية البركة، فيزداد خيرها ويعم نفعها على مر السنين وتطاول الأزمان فبدت هذه البركة على حركة التأليف اللغوي وفق المظاهر الآتية:

(١) الكشاف، ١٨٣.
(٢) أحكام القرآن، ١/٣٧١.
(٣) الآية (٥٧) من سورة القصص.
(٤) انظر معاني القرآن للفراء ١/٢٢٧ وفيه «ويقال: إنما قيل مباركاً لأنه مغفرة للذنوب.
(٥) في الأصل أبو حس فلعله الجراد أو هو تحريف حش، والحش هو الولد الهالك في بطن الحاملة وولد الناقة اللسان، مادة حشش، وحسس.
(٦) البحر المحيط ٣/٦ وانظر جامع البيان ٥/٥٩٧ وروح المعاني ٤/٥.
(٧) أحكام القرآن ١/٣٧١.

**المظهر الأول**: في إنشاء علم وابتكار فن، فقد ذكرت كتب التراجم أن الخليل بن أحمد الفراهيدي عالم العربية الأول المتوفى سنة ١٧٥هـ، «تعلق بأستار الكعبة، وقال: اللهم ارزقني علماً لم يسبقني إليه الأولون، ولا يأخذه إلا عني الآخرون، ثم رجع وعمل العروض»[١] وفي بعض الروايات: أنه دعا بمكة أن يرزقه علماً لم يسبقه أحد إليه ولا يؤخذ إلا عنه فرجع من حجه ففتح عليه بعلم العروض[٢]، ومعلوم أن علم العروض من علوم العربية المهمة تبدو أهميته في كونه علما اندرج فيه الشعر العربي وانضبط من حين نشأته إلى حين انتهاء فنه.

ولعلي لا أبعد عن الصواب إن قلت: إن الله سبحانه وتعالى استجاب دعاء الخليل ففتح عليه بعلوم العربية كلها، وليس بعلم العروض فقط كما ذكر أصحاب التراجم، نزعم ذلك للأسباب التالية:

أ - أن لفظة (علم) التي تضمنها دعاء الخليل حين كان يطوف حول الكعبة هي اسم جنس نكرة فهي تفيد العموم والشمول وتطلق على القليل والكثير، وسياق الدعاء يفيد الإطلاق وعدم التقييد.

ب - أن الإجماع يكاد ينعقد على أن الخليل هو مفتاح العلوم ومصرفها، ذكر أبو الطيب اللغوي في مراتبه نقلاً عن أبي محمد التوجي قوله: «اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق، فتذاكرنا أمر العلماء، فجعل أهلُ كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال: الخليل أذكى العرب، وهو مفتاح العلوم ومصرفها»[٣]. ولا شك أن هذا الإجماع من هؤلاء العلماء على أنه مفتاح للعلوم ومصرفها لهو دليل على اتساع دائرة

(١) مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ٤٨

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٣٠١/٣، ووفيات الأعيان لابن خلكان ٣١٠/١

(٣) مراتب النحويين، ٢٩ وانظر الأوائل، للعسكري القسم الثاني، ١٢٥ وعبقري من البصرة، للدكتور مهدي المخزومي، ٣٤.



الخليل في الابتكار.

ج - أن ثمة إجماعاً أيضاً على أنه رائد لعلوم العربية كلها:

١- ففي العروض أجمعت كتب التراجم على أنه مخترعه كما رأينا[١].

٢- وفي النحو أكد أصحاب التراجم على أن الخليل «كان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس»[٢]، وأن عامة الحكاية في كتاب سيبويه هي عن الخليل فكلما قال سيبويه: سألته، أو قال: قال، من غير أن يذكر قائله فهو الخليل[٣]، ونقل عن ثعلب قوله: «إن الأصول والمسائل في الكتاب للخليل»[٤]، بل إن الزبيدي في طبقاته أشار صراحة إلى أن ما قدمه الخليل في فني العروض والنحو لم يسبق إليه، قال: «وكان الخليل ذكياً فطناً شاعراً واستنبط من العروض، ومن علل النحو مالم يستنبط أحد غيره، وما لم يسبقه إلى مثله سابق»[٥]. وقال عنه أيضاً: «والخليل بن أحمد أوحدُ العصر، وقريعُ الدهر، وجهبذُ الأمة، وأستاذ أهل الفطنة الذي لم ير نظيره ولا عرف في الدنيا عديلُه، وهو الذي بسط النحو ومد أطنابه، وسبب علله، وفتق معانيه، وأوضح الحجاجَ فيه، حتى بلغ أقصى حدوده وانتهى إلى أبعد غاياته»[٦].

إذن يعد الخليل عند القدماء رائداً لعلم النحو، نعم لقد سُبق بما وضعه

(١) انظر المراجع السابقة التي تحدثت عن قصة اختراعه لعلم العروض وانظر الفهرست، ٦٤ إذ أضاف فيه قائلاً: وحصن به أشعار العرب.

(٢) الفهرست، ٦٤.

(٣) نزهة الألباء للأنباري، ٤٩.

(٤) الفهرست، ٧٦ وانظر المدارس النحوية، ٣٤.

(٥) طبقات النحويين للزبيدي، ٤٧.

(٦) استدراك الغلط الواقع في كتاب العين (المقدمة) نقلاً عن النحو العربي للدكتور صلاح رواي، ١٧٩.

المتقدمون عليه من أمثال نصر بن عاصم المتوفى ٨٩ هـ، وعنبسة الفيل المتوفى ١٠٠هـ وعبد الله بن إسحاق الحضرمي المتوفى ١١٧هـ ويحيىٰ بن يَعمَر المتوفى ١٢٩هـ، وعيسىٰ بن عمر المتوفى ١٥٤هـ في كتابيه المفقودين (الإكمال والجامع) اللذين قال فيهما الخليل:

ذهبَ النحو جميعاً كلّه ... غير ما أحدثَ عيسىٰ بن عمرْ

ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناس شمسٌ وقمرْ[1]

لكن ما وضعه هؤلاء يعد توطئة وتمهيداً لما شاده الخليل، ولا نظن أن عنوان الكتابين (الإكمال والجامع) يفيد تلك الإحاطة وذلك الشمول اللذين نعرفهما عن النحو الآن، بل نعتقد أن الشمول كان يتفق مع القواعد الأولىٰ البسيطة للنحو، فما وضعه هذا الرعيل لا يعد شيئاً ذا بال أمام ما صنعه الخليل ـ يرحمه الله ـ.

ولقد كان القدماء يعتقدون أن الخليل قادر على ابتكار العلل والأقيسة النحوية قال الزجاجي: «ذكر بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد ـ يرحمه الله ـ سُئل عن العلل التي يُعتلُّ بها في النحو فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم ينقلْ ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه، فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمسته، وإن تكن هناك علة له فمَثَلي في ذلك مثل رجل حكيم دخل داراً محكمة البناء، عجيبة النظم والأقسام، وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق... فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال: إنما فعلَ هذا هكذا لعلة كذا وكذا ولسبب كذا وكذا.. فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو

(١) تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي، ١٣٣.



هو أليق بما ذكرته بالمعلول فليأت بها[1]»، فقول السائلين (أم اخترعتها) يفيد اعتقادهم أنه قادر على ذلك، ثم إن قوله: فإن سنح لغيري علة»، يفيد أن ما قدمه الخليل من هذه العلل والأقيسة من سنحات فكره وخطرات عقله فهي نور من الله ألقاه في قلبه فأضاء عقله، فأوقفه على اختراع أصول لهذا العلم لم يسبق إليها.

وأخيراً لقد أكد سيبويه الذي نُسب الكتابُ إليه على ريادة الخليل لهذا العلم، فقد ذكر الزبيدي أن «نصر بن علي الجهضمي قال: لما أراد سيبويه أن يؤلف كتابه قال لأبي: تعال نحيي علم الخليل»[2]، فهذا النص يفيد ما يأتي:

١- أن المادة العلمية التي حواها الكتاب هي من صنع الخليل.

٢- أنه يؤيد ما ذهبنا إليه من أن لفظة (علم) تلك التي استعملها الخليل وهو يطوف حول الكعبة لا تقتصر على العروض، فها هي استخدمت هنا للدلالة على علمي النحو والصرف والأصوات، وهو ما اشتمل عليه كتاب سيبويه المعروف.

وقد أكد المحدثون أيضاً على ريادة الخليل لعلمي النحو والصرف قال الدكتور شوقي ضيف: «وحقاً سبقت الخليل في النحو والتصريف خطواتٌ مهمة، وخاصة عند ابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، ولكن من الحق أيضاً أنه هو الذي رفع قواعدهما وأركانهما وأشاد صرحهما وبناءهما الضخم بما رسم من مصطلحاتهما وضبط من قواعدها، وبما شعب من فروعهما»[3] وأضاف قائلاً: «تناول علمي النحو والتصريف ساذَجَيْنِ من أسلافه، وما زال بهما حتى استويا في صورتهما التي ثبتت على الزمن ونستطيع أن نقول في

(١) الإيضاح في علل النحو للزجاجي، ٦٦.
(٢) طبقات النحويين واللغويين، ٧٥، مقدمة الكتاب، ٢٤.
(٣) المدارس النحوية، ٣٤.

إجمال: إن جمهور ما يصوره سيبويه في كتابه من أصول النحو والتصريف وقواعدهما، إنما هو من صنيع أستاذه، ولا ينكر أحد ما لسيبويه من إكمال في العلمين وتتميم، ولكن المهم أن واضع تخطيطهما، وراسم لوحتيهما إنما هو الخليل[1]، وانتهى إلى تقرير أن «الخليل يعد واضع النحو العربي»[2].

وأكد على ذلك أيضاً الدكتور مهدي المخزومي إذ قال: «وكان النحوي الذي منحه - أي منح النحو - النضج والاكتمال هو الخليل ابن أحمد الفراهيدي الذي لم يشهد تاريخ الدرس النحوي أحداً ممن عاصره يمكن أن يوضع في طبقته، فتاريخ الدرس النحوي عند الخليل هو تاريخ النحو العربي، الذي نعرفه. ونقل عن المستشرق فايل قوله: كان هو المبدع الحقيقي لهذا العلم[3] وأكد الدكتور المخزومي على أن القدماء كانوا مدركين أن الخليل هو صانع النحو قال: «وكان الدارسون القدماء الذين وقفوا على الكتاب وتدارسوه يعرفون أن الكتاب كتابه والنحو نحوه»[4] ونقل النعوت التي قالوها فيه قائلاً: «ولو اتسع المجال لأتيت على أقوال للدارسين لم تقل في أحد غيره فهو الغاية، وهو أستاذ الناس، وهو واحد عصره، ولم يكونوا ليستكثروا عليه أن ينعت بأجل النعوت لو أعانتهم اللغة وقوة البيان، ولكنهم نعتوه بما أمكنهم أن ينعتوه به»[5].

ومما سبق نتبين أن هناك إجماعاً بين القدماء والمحدثين على أن الخليل هو الواضع الأول للنحو العربي (أصوله وأقيسته وعلله).

٣- أما في ميدان المعاجم اللغوية، فقد اتفق القدماء والمحدثون على أن معجم العين الذي صنفه الخليل هو أول معجم لغوي استوعب كلام

(١) المدارس النحوية، ٣٤

(٢) المرجع السابق، ٥٦

(٣) مدرسة البصرة، ٧٦ وقد نقل الدكتور المخزومي قول المستشرق فايل من مقدمة كتاب الإنصاف للأنباري، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار.

(٤) مدرسة البصرة، ٨٢

(٥) مدرسة البصرة، ٨٢، وانظر النحو العربي، للدكتور صلاح رواي، ١٧٧



العرب، قال التنوخي: «وهو أول من صنف اللغة على حروف المعجم»[1] وسواء أنمه هو أم غيره فالإجماع منعقد على ابتكار الخليل له[2]، ومن رواية ذكرها ابن النديم تفيد كيف برقت فكرة هذا المعجم بما منه الله سبحانه وتعالى عليه، قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار: «كنت أسير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً: لو أن إنساناً قصد وألف حروف ألف وباء وتاء وثاء على ما أمثله لاستوعب في ذلك كلام العرب فتهيأ له أصل لا يخرج عنه شيء منه بتة، قال: فقلت له: وكيف يكون ذلك ؟ قال يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي وأنه ليس يعرف للعرب كلام أكثر منه»[3]. فقوله: على ما أمثله، يفيد أن الفكرة واضحة في ذهنه ثم عبر عن الابتكار بقوله: فتهيأ له، أي سنح له وخطر بباله وهنا تكمن بركة الدعاء، وتظهر حدة الذكاء التي وهبه الله إياه، فتتقدح الفكرة، وتتحقق الخاطرة وتتكشف الحقائق، وحقا لقد استوعب معجم العين اللغة بعمقها وسعتها، قال الدكتور المخزومي: «وإلى علم الخليل باللغة وإحاطته بأساليبها واستعمالاتها وتراكيبها ومفرداتها، يرجع التفكير بالتأليف اللغوي ووضع أول معجم لغوي معاصر حاضر للغة العرب وهو كتاب العين»[4].

٤- وامتد ابتكار الخليل إلى الإملاء فألف كتاباً في النقط والشكل[5]، وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن الخليل أدخل على «النقط أو الإعجام علامات للروم والإشمام والتشديد والهمزة المتصلة والمنقطعة، واخترع

(١) تاريخ العلماء النحويين، ١٣١.

(٢) انتهى الدكتور عبدالله درويش - يرحمه الله - محقق الجزء الأول من كتاب العين بعد مناقشة الآراء المختلفة حول صحة نسبة الكتاب إلى الخليل أو بطلانها إلى القول: وبعد هذا يمكن القول بأن الخليل بن أحمد هو الذي ألف كتاب العين من أوله إلى آخره، وأن تلميذه الليث كان راويته في ذلك» انظر مقدمة كتاب العين، ٢٧.

(٣) الفهرست، ٦٤ - ٦٥.

(٤) مدرسة البصرة، ١١٦.

(٥) انظر الفهرست، ٦٥.

علامات الضبط التي لا نزال نستعملها إلى اليوم، إذ أخذ من حروف المد صورها مصغرة للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوقه»[1].

٥- وفي ميدان الأصوات اللغوية أكد الدكتور مهدي المخزومي أيضاً على ريادة الخليل له قائلاً: «وفي مجلسه وقف الدارسون أول مرة على ما سمي الآن بعلم الأصوات اللغوية»[2].

٦- أما ميدان فقه اللغة وما يتصل به من مباحث فقد نص الدكتور المخزومي أيضاً على بروز الخليل في هذا الجانب قال: «أما الدرس اللغوي فقد كان عند الخليل ينحدر عن فكر لغوي ناضج، فله من أقواله وآرائه ما يشبه أن يكون نظرية تامة التكوين في نشأة اللغة وفي تطويرها»[3] وقال في موضع آخر مبيناً أن الخليل وصل إلى الغاية في هذا الجانب: «وإلى الدرس اللغوي عند الخليل ينتهي علم الدارسين العرب بالاشتقاق وأنواعه وغيره من الموضوعات اللغوية التي تعد من موضوعات فقه اللغة الحديث»[4].

ونخلص مما سبق إلى أن الخليل هو الرائد الأول لعلوم اللغة العربية بفروعها المتعددة وأنواعها المختلفة، وقد أجمل ما فصلناه الأصفهاني مشيراً إلى إبداع الخليل لهذه الفنون المتعددة بقوله: «فإن دولة الإسلام لم تخرجْ أبدعَ للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عَنْ حكيم أخذه، ولا

(١) المدارس النحوية، ٣٣ وقد نقل الدكتور شوقي ذلك من كتاب المحكم في نقط المصاحف، للداني، ٦ - ٧ وانظر النحو العربي ١٧٤.
(٢) عبقري من البصرة، ١١٦.
(٣) عبقري من البصرة، ١١٦.
(٤) المرجع السابق، ١١٦.



عن مثال تقدمه احتذاه، ومن تأسيسه بناء كتاب العين الذي يحصرُ لغة أمة من الأمم قاطبة، ثم إمداده من علم النحو بما صنف منه الذي هو زينة لدولة الإسلام»[1].

وهذا الإبداع المتعدد المتنوع أشار إليه محقق كتاب العين بقوله: «لقد ظلت أفكار الخليل ونظرياته وتعليلاته وابتكاراته نبراساً وهدياً لعلماء اللغة والنحو والصرف والعروض والعلوم اللسانية بصفة عامة»[2].

إذن يمكننا القول - ونحن مطمئنون - إلى أن الخليل هو المبتكر لعلوم العربية، بعضها أنشأه ابتداء، وبعضها الآخر كان له فضل تطويره تطويراً يعد بمنزلة الابتكار، وقد تم له ذلك كله - والله أعلم - بفضل ذلك الدعاء الذي دعا به وهو في طوافه، فيبدو أن الله سبحانه وتعالىٰ قد استجاب دعاءه، فوفقه إلى هذه العلوم التي أفادت علوم الحضارة الإسلامية قاطبة.

**أما المظهر الثاني** فيتجلىٰ في أن بعضهم دعا لولده ليكون عالماً بالنحو، فقد ذكر الأنباري في نزهة الألباء أن والد ابن السكيت المتوفى سنة ٢٠٥ هـ كان رجلاً صالحاً من أصحاب الكسائي، وأنه حج وطاف في البيت، وسعىٰ بين الصفا والمروة وسأل الله تعالىٰ أن يعلم ابنه أبا يوسف (المتوفى ٢٤٤هـ) النحو، قال: فتعلم النحو واللغة[3]. ولكي نقف على منزلة ابن السكيت في العلوم يكفي أن نورد ما ذكره ثعلب في شأنه، قال: «كان يعقوب ابن السكيت متصرفاً في أنواع العلم»[4] ووصفه ابن النديم بقوله: «من علماء بغداد، وكان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن والشعر»[5] وأحصىٰ

(١) النحو العربي، ١٧٨، نقله الدكتور صلاح رواي من التنبيه على حدوث التصحيف، ١٣٤.
(٢) معجم العين، المقدمة، ٥.
(٣) نزهة الألباء، ١٥٩.
(٤) الفهرست، ١٠٨.
(٥) الفهرست، ١٠٧.

ابن النديم كتبه فنافت على الخمسة والعشرين كتاباً كلها في اللغة والنحو[1] وأجمل السيوطي الحديث عن هذه المؤلفات بقوله: «له تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وتفسير دواوين العرب» وأضاف قائلاً: «زاد فيها على من تقدمه»[2] مما يفيد تألقه وبراعته. وأحصى الدكتور حسن شاذلي فرهود مؤلفات ابن السكيت في مقدمة تحقيقه لكتاب حروف الممدود والمقصور فبلغت خمسة وأربعين كتاباً[3] من أشهرها:

١- كتاب القلب والإبدال نشره أوغست هفنر في بيروت في سنة ١٩٠٣م.

٢- كتاب شرح ديوان عروة ابن الورد الذي نشر في القاهرة سنة ١٢٩٣هـ ونشر في الجزائر سنة ١٩٢٦م

٣- كتاب إصلاح المنطق الذي طبع في القاهرة سنة ١٩٤٩م بتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون[4] وقد أثنى العلماء كثيراً على هذا الكتاب فنقل عن المبرد قوله: «ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب ابن السكيت في المنطق»[5] وقد قامت على هذا الكتاب دراسات كثيرة لأهميته في حركة التصحيح اللغوي منها:

١- تنبيهات علي بن حمزة البصري على ما في الكتاب[6].

٢- ومنها دراسات حديثة متميزة أشهرها دراسة الأستاذ الدكتور

(١) الفهرست ١٠٧-١٠٧.
(٢) البغية، ٣٤٩/٢.
(٣) انظر الفهرست، ١٠٨ وحروف الممدود والمقصور، ١٥.
(٤) حروف الممدود والمقصور، ٢٠-٢١.
(٥) نزهة الألباء، ١٦٠.
(٦) انظر هذه التنبيهات مطبوعة مع كتاب المنقوص والممدود للفراء تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار المعارف بمصر.



عبد العزيز الميمني الراجاكوتي بعنوان أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الأصفهاني.

٣- ومنها دراسة الأستاذ الدكتور حسين نصار في كتابة المتميز المعجم العربي[1] وأخيراً نظفر بدراسة الأستاذ الدكتور عبد الفتاح سليم لهذا الكتاب في كتابة القيم اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه[2].

والحق أن كتب ابن السكيت الكثيرة المتعددة أثرت المكتبة العربية إثراء كبيراً وما ذلك ـ فيما نحسب ـ إلا من آثار دعاء والده له في مكة المكرمة.

* ومما يتصل بهذا الأمر أن بعضهم شرب من ماء زمزم في مكة على نية أن يرزقه الله ولدًا عالماً، من ذلك ما ذكره الشوكاني في البدر الطالع في ترجمة ابن الجزري محمد بن محمد بن يوسف الدمشقي المتوفى سنة ٨٣٣هـ بشيراز، فقد كان أبوه تاجراً ومكث أربعين سنة لا يولد له ولد ثم حج فشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله ولداً عالماً فولد له ابن الجزري صاحب التصانيف الكثيرة النافعة التي بلغت عدتها عند الشوكاني أكثر من عشرين كتاباً أكثرها في القراءات ومنها كتاب الجوهرة في النحو[3] ولا تخفى الصلة بين القراءات وعلوم العربية.

**أما المظهر الثالث**: فبدت البركة فيه باشتهار بعض الكتب المؤلفة في هذه البقعة المقدسة، إذ كتب لها القبول عند أصحاب فنها فذاع أمرها وطارت شهرتها وعم نفعها، وقبل أن نذكر عناوين هذه الكتب التي عم نفعها نود أن نبين أن اعتقاد حصول البركة في الكتب ظاهرة واضحة في كتب التراجم، وقد ربط بعضهم بين قبول العمل العلمي وقبول صاحبه أيضاً عند

(١) انظر ٦٩/١.
(٢) انظر، ٩٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٩.
(٣) البدر الطالع، ٢٥٧/٢.

الناس قال السيوطي: «وحدث ثعلب قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: من لا قبول عليه فلا حياة لأدبه»[1] وقد تحدثت كتب التراجم عن عددٍ من الكتب التي لم ترزق القبول أو لم تحظ بالعناية لأمر ما، من ذلك:

١- أن الأنباري في نزهة الألباء ذكر في ترجمة المبرد أن له كتباً كثيرة «ومن أكبرها المقتضب وهو نفيس إلا أنه قلما يشتغل به أو ينتفع به قال أبو علي: نظرت في كتاب المقتضب فما انتفعت منه بشيء إلا بمسألة واحدة وهي وقوع إذا جواباً للشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾[2] ثم بين الأنباري علة عدم الانتفاع به بقوله: «وكان السر في عدم الانتفاع به أن أبا العباس لما صنف هذا الكتاب أخذه عنده ابن الراوندي المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد[3]. وأخذه الناس من يد ابن الراوندي وكتبوه منه، فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع به»[4] ودفع الشيخ عبد الخالق عضيمة ـ رحمه الله ـ ما ذكره أبو علي بأن هذا يعد مأخذاً على أبي علي نفسه لأن سيبويه ذكر في ١/ ٤٧٥ أن إذا الفجائية تكون رابطة لجواب الشرط، وأن سيبويه استشهد بالآية الكريمة عنها ثم علق الشيخ عبد الخالق عضيمة قائلاً: «فهل تقول: إن أبا علي خفي عليه مكان الآية في سيبويه فقال هذا القول المنسوب إليه؟ أو نقول: إنه يبعد صدور مثل هذا عن أبي علي»[5] ثم ذكر قصة ابن الراوندي ولم يعلق عليها فكأن الشيخ عبد الخالق عضيمة ـ رحمه الله ـ يقر بأن عدم شيوع الكتاب وانتشاره قد يعود إلى ما أصابه من الشؤم من ابن الراوندي.

(١) البغية، ١/ ١٠٥.
(٢) الآية (٣٦) من سورة الروم.
(٣) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق المعروف بابن الراوندي توفي ٢٩٨ هـ.
(٤) نزهة الألباء، ٢٠٠.
(٥) المقتضب (المقدمة) ١/ ٧٠.



والذي يبدو لي أن ما ذكره الشيخ عبد الخالق عضيمة ـ رحمه الله ـ لا يَرُدُّ على أبي علي لاحتمال أن تكون نسخة كتاب سيبويه التي اطلع عليها أبو علي خالية من هذا الموضع، فلم يقف عليها إلا في مقتضب المبرد، والظاهر من نص ابن الأنباري أن العلماء لا يغضون من قيمة المقتضب العلمية بل يعللون لعدم شيوعه والانتفاع به كغيره من الكتب الأخرى، ولا يعنينا الآن بيان مدى فائدة المقتضب في الدراسات النحوية، لأن فائدته معروفة وصاحبه علم بارز في هذه الصنعة، وما ذكره أبو علي هو رأي قد اعتقده فقد يكون صواباً وقد يكون غلطاً، ولكن يستفاد من هذه القصة أن العلماء يدور في خَلَدِهم ما يصيب بعضَ الكتب من حظ أو بركة فتنتشر وينتفع بها والعكس صحيح أيضاً إذ إن بعض الكتب يلحقها الشؤم فتخمل ويخمل صاحبها.

٢- ذكر السيوطي في ترجمة أبي حيان التوحيدي علي بن محمد المتوفى في حدود الثمانين والثلاثمئة أنه «صنف الرد على ابن جني في شعر المتنبي وأنه صحب أبا الفضل ابن العميد، والصاحب ابن عباد فلم يحمدهما وصنف في مثالبهما كتابه (مثالب الوزيرين) وبالغ في التعصب لهما وما أنصفهما وأضاف السيوطي قائلاً «وهذا الكتاب من الكتب المحدودة ما ملكه أحد إلا وتعكست أحواله»[1].

٣- ذكر الشوكاني في ترجمة أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ أن «تصانيف صاحب الترجمة تزيد على الخمسين ومنها منظومة في القراءات على وزن الشاطبية بغير رموز وفيها فوائد ولكنها لم ترزق حظ الشاطبية»[2].

(١) البغية، ٢/ ١٩٠.
(٢) البدر الطالع، ٢/ ٢٩١.

٤- ذكر الشوكاني في ترجمة الشيخ ملا علي قاري الهروي الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٠١٤هـ، نقلاً عن العصامي قوله في وصف الهروي «أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولي الحفظ والأفهام ... لكنه امتحن بالاعتراض على الأئمة، لا سيما الشافعي وأصحابه، واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه، ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم، ومن ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء»[1] غير أن الشوكاني لم يرض هذا القول فقال: «وأقول: هذا دليل على علو منزلته، فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترض، سواء كان قائله عظيماً أم حقيراً»[2].

فمن هذه الأمثلة نخلص إلى القول: إن للكتب قبولاً وحظوظاً، وقد اعتقد العلماء بذلك، لذا اتجه بعضهم إلى مكة لينال عمله العلمي البركة والقبول فيعم نفعه وتستمر فائدته، وقد حدثتنا كتب التراجم عن عدد من الكتب المؤلفة في مكة المشرفة فشرفت بها وحلت بها البركة بما فتح الله به على مصنفيها، فتناولها العلماء بالخدمة تدريساً وشرحاً فعم فضلها وانتفع الناس بها منها:

أ- مختصر الجرمي في النحو، لقد ذكر الأنباري في ترجمة أبي إسحاق الجرمي النحوي المتوفى سنة ٢٢٥هـ أنه صنف مختصراً في النحو، قيل: إنه كان كلما صنف منه باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به ويبارك فيه، ثم نقل عن أبي علي الفارسي قوله كاشفاً بركة هذا الكتاب على قرائه: «قل من اشتغل بمختصر الجرمي إلا صار له بالنحو صناعة»[3].

(١) البدر الطالع، ١/ ٤٤٥.
(٢) البدر الطالع، ١/ ٤٤٦.
(٣) نزهة الألباء، ١٢٧



ب - كتاب الجمل للزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق المتوفى ٣٤٠هـ فقد صنفه في مكة: «وكان إذا فرغ من باب طاف أسبوعاً، ودعا الله سبحانه تعالى أن يغفر له وأن ينفع به قارئه»[1]، وأضاف صاحب كشف الظنون قائلاً: «وهو كتاب نافع مفيد ... قالوا: هو من الكتب المباركة لم يشتغل به أحد إلا انتفع به»[2]، ولعل من مظاهر بركة هذا الكتاب أن شروحه مع شواهده بلغت تسعة وسبعين شرحاً ذكرها محقق كتاب البسيط ـ وهو شرح على الجمل أيضاً ـ ومن أشهر هذه الشروح:

٣- شرح الجمل لابن السيد البطلوسي المتوفى ٥٢١هـ حققه الدكتور مصطفى إمام الجمل.

٤- وكتاب الحلل في إصلاح الخلل للبطليوسي حققه سعيد عبد الكريم سعودي وطبع في العراق.

٥- و كتاب شرح الجمل لابن عصفور المتوفى سنة ٦٦٩هـ حققه الدكتور جعفر صاحب أبو جناح وطبع في العراق.

٦- وكتاب البسيط لابن أبي الربيع المتوفى سنة ٦٨٨هـ حققه الدكتور عياد الثبيتي وصدر عن دار الغرب الإسلامي في بيروت[3].

٧- وشرح جمل الزجاجي لابن هشام الانصاري حققه الدكتور علي محسن عيسى ونشر في مكتبة عالم الكتب في بيروت[4].

ولا ريب أن اهتمام العلماء بشرحه لهو أثر من آثار البركة التي حلت

(١) كشف الظنون، لحاجي خليفة، ١/ ٦٠٣
(٢) المرجع السابق، ١ / ٦٠٣
(٣) كتاب البسيط، لابن أبي الربيع، ٧٩ (المقدمة).
(٤) انظر كشف الظنون، ١ / ٦٠٥، ومقدمة كتاب الجمل ٢٥ - ٣٢ ومقدمة كتاب البسيط، ٧٩.

في هذا الكتاب.

جـ - وفي القرن السادس يطالعنا كشاف الزمخشري محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨هـ وهو الملقب بجار الله لمجاورته بيت الله الحرام في مكة المكرمة، وللزمخشري مع مكة قصة تناقلتها كتب تراجم ملخصها أنه قدم مكة وأقام بها سنتين ثم رجع إلى وطنه، ثم ندم على تركه مكة لأنه استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وإلى ذلك أشار بقوله:

أأبتاعُ بالفوز الشقاوة خاسراً ... وأستبدلُ الدنيا الدنيةَ بالأخرىٰ

إذا خطرتْ بالبال ذكرى إناختي ... على حرمِ الله استفزتني الذكرىٰ

ولم يحتمل الزمخشري الحياة بعيداً عن مكة، فقرر العودة إليها وتوجه تلقاء مكة[1] وألف الكشاف فيها، وضمنه كثيراً من مسائل العربية (لغة ونحواً وصرفاً وبلاغةً) مع أنه كتاب في التفسير، وقد أفاد منه علماء العربية كثيراً، وأثار حركة علمية عالية حين استثمر فيه الزمخشري تمكنه في علوم العربية لخدمة مذهبه الاعتزالي، مما دفع كثيراً من العلماء إلى الرد عليه فنشطت الحركة العلمية عامة والعربية خاصة، ولقد ذكر الزمخشري في مقدمة الكتاب البركة التي حصلت له ممثلة في المدة اليسيرة التي استغرقها تأليف الكتاب في مكة المكرمة، قال: «ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة أبي بكر الصديق[2] - رضي الله عنه - وكان يقدر تمامه في أكثر من ثلاثين سنة، أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سبباً ينجيني، ونوراً على الصراط يسعىٰ بين يدي ويميني، ونعم

(١) تعقبات أبي حيان النحوية لجار الله الزمخشري في البحر المحيط للدكتور حماد القرشي، ٣ وانظر الباه الرواة، للقفطي، ٣/٢٦٥ - ٢٧٢، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ٤/ ٢٥٤، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ١٩/١٢٦ - ١٣٥، والزمخشري للدكتور أحمد الحوفي، ٣٥ -٩٨.

(٢) أي سنتان ونصف تقريباً.



المسؤول»[1] وقد مدحه الزمخشري نفسه بقوله:

إن التفاسيرَ في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثلُ كشافي

إن كنت تبغي الهدى فالزمْ قراءته ... فالجهلُ كالداءِ والكشّافُ كالشافي[2]

وأثنىٰ عليه الخالفون أيضاً، فقد وصفه ابن خلكان بقوله: «الكشاف في تفسير القرآن العظيم لم يصنف قبله مثله»[3]، وأثنىٰ عليه الشيخ حيدر الهروي في مقدمة حاشيته على الكشاف قائلاً: «فإن كتاب الكشاف كتاب عالي القدر، رفيع الشأن، لم ير مثلُه في تصانيف الأولين، ولم يَرِدْ شبيهه في تآليف الآخرين، اتفقتْ على متانة تراكيبه الرشيقة المهرة من[4] المتقنين، واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة ألسنةُ الكملة المتلقين»[5] ومدح ابن هطيل النحوي شارح المفصل المتوفى ٨١٣ هـ الزمخشري وكشافه ومفصّله بقوله:

ويرعىٰ لجارِ الله حرمةُ فضلِهِ ... وهَلْ مثلُ جارِ الله إلا بفضْلِ

ألم تر أن النامَ في كل مشكلٍ ... بأقوالهم في حلّه يتوصّلُ

فكم صنفوا في كل فنٍ ليرتقوا ... إلى ما ارتقى لم ينزلوا حيث نُزّلوا

على فضله الكشافُ أكبرُ شاهدٍ ... ولم يهو للنظار إلا المفصّلُ[6]

وقد تناوله العلماء بالشرح والتلخيص، وتخريج أحاديثه فبلغ مجموع ما

(١) الكشاف المقدمة، ٢٤.

(٢) البغية، ٢/ ٢٨٠، وترتيب العلوم، ١٦٥، وكشف الظنون، ٢/١٤٧٦.

(٣) وفيات الأعيان، ٢ / ٨١-٨٤ والعقد الثمين، ٧/ ١٣٩ وانظر تعقبات أبي حيان، ٣-٤.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) كشف الظنون، ٢/١٤٨٣.

(٦) البدر الطالع، ١/ ٤٩٤ (الهامش)، في الأصل (من النظار).

كتب عليه أكثر من سبعة وأربعين عملاً علمياً[1] ومن أشهر شروحه:

١- حاشية القاضي أحمد بن محمد بن منصور المنير المالكي المتوفى سنة ٦٨٣هـ السماة بالانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال.

٢- حاشية شرف الدين الحسن بن محمد الطيبي المتوفى ٧٤٣هـ في سنة مجلدات.

٣- حاشية سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢هـ لخص فيها حاشية الطيبي.

٤- حاشية سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة ٨٠٥ هـ في ثلاثة مجلدات.

ومن أشهر مختصراته مختصر البيضاوي عبد الله بن عمر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ وعنوانه: أنوار التنزيل، ومن أشهر الكتب التي اعتنت بتخريج أحاديثه كتاب الزيلعي الحنفي عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٧٦٢ هـ ومن أشهر الكتب التي شرحت شواهد الكشاف، شرح الإمام محمد عليان المرزوقي الشافعي المسمى بمشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف وكتاب درر الأصداف المنتقاة من سلك جواهر الإسعاف، شرح شواهد البيضاوي[2] والكشاف للسيد علي ابن صلاح الدين الكوكباني المتوفى سنة١١٩١هـ، وشرح خضر بن محمد الموصلي نزيل مكة المكرمة في مجلدات[3]، ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤلفات التي قامت على خدمة الكشاف قد تعقبت من قبل بعض العلماء، فقد ذكر صاحب كشف الظنون أن الإمام علم الدين عبد الكريم بن علي العراقي المتوفى سنة ٧٠٤هـ ألف كتاباً جعله حكماً بين الكشاف والانتصاف

(١) انظر كشف الظنون، ٢/١٤٧٥ - ١٤٨٤.
(٢) انظر لذلك كله كشف الظنون، ٢ /١٤٧٥، والكشاف، ١٢(مقدمة المحقق).
(٣) ذيل البدر الطالع، ١٦٦ وكشف الظنون، ٢/١٤٨٢.



لابن المنير، وكذا الحال مع حاشية التفتازاني على الكشاف، فقد اعترضه السيد الشريف علي الجرجاني في حاشيته على الكشاف أيضاً في عدد من المواضع فهبّ برهان الدين حيدر بن محمد الهروي تلميذ التفتازاني، فصنع حاشية على حاشية التفتازاني أجاب بها على اعتراضات السيد الشريف على أستاذه[1]، وهكذا نرى أن الكشاف المؤلف في مكة صنع حركة علمية على مر السنين وما يزال منهلاً ثراً للدارسين لما حوى من نكات بلاغية وإشارات لغوية، وأسرار نحوية، قلّ أن تجدها في كتاب تفسير آخر.

د ـ وفي القرن الثامن نقف على كتابين استحوذا عناية خاصة من قبل العلماء الخالفين بفضل تلك البركة الحاصلة لهما نتيجة تأليفهما في مكة المكرمة:

**أولهما**: يعد متناً نحوياً لا يزال يدرس حتى الآن في الحلقات العلمية هذا المتن هو المشهور بالأجرومية نسبة لمؤلفه محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المتوفى سنة ٧٢٣هـ المشهور بابن آجروم ومعناها في لغة البربر الفقير الصوفي[2]، لقد ذكر السيوطي نقلاً عن الراعي النحوي محمد بن محمد الأندلسي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ في مدينة فاس في بلاد المغرب ـ وهو أحد شراح الأجرومية ـ أن ابن آجروم «ألف مقدمته تجاه الكعبة الشريفة»[3] ولا شك أنه لم يحرص على تأليفها في هذا المكان الشريف أمام الكعبة إلا لتحفها البركة وتنال القبول عند الناس، والعجيب حقاً أن هذا المتن طبقت شهرته الآفاق وسارت بذكره الركبان على مدى الأزمان يبدو ذلك مما يأتي:

١- أن هذه المقدمة ترجمت إلى عدد من اللغات فقد ترجمها المستشرق الإيطالي الأب أوبنتشيني المتوفى سنة ١٠٣٢هـ ـ ١٦٣٢م

(١) كشف الظنون، ٢/١٤٧٩.
(٢) البغية، ١/٢٣٨.
(٣) البغية، ١/٢٣٣ـ٢٣٨.

إلى اللاتينية وطبعت الترجمة في روما سنة ١٠٣٥هـ ـ١٦٣٢م وترجمها المستشرق الفرنسي برنيه المتوفى سنة ١٨٦٩م ـ ١٢٦٩هـ وطبعت في الجزائر عام ١٨٤٦م ـ ١٢٤٦هـ وقام المستشرق المجري جورجي كاتيورسكي المتوفى سنة ١٩٠٣م ـ ١٣٣٠هـ بشرحها وطبع هذا الشرح فينا سنة ١٨٨٢م ـ١٢٨٢هـ[1].

٢- أن العلماء العرب الخالفين لابن آجروم اعتنوا بها عناية عظيمة فحظيت بالشرح والنظم والتعليق والتحليل والإعراب وقد بلغ عدد شروحها بناء على ما ذكرته الطالبة ندىٰ الساعي في مقدمة تحقيقها لشرح ابن زروق على الأجرومية (١٣٦) شرحاً وبلغ عدد الكتب التي أعربت ألفاظها (١٧) كتاباً، وبلغ عدد الحواشي والتعليقات والتقريرات التي خدمت الأجرومية (٩) كتب، وبلغ عدد منظوماتها ٢٥ نظماً ومجموع ذلك كله ١٨٧ عملاً علمياً[2].

ومن أشهر شروحها:

١- شرح المكودي عبد الرحمن بن علي المتوفى سنة ٨٠١ هـ وقد طبع مراراً.

٢- شرح محمد بن محمد الأندلسي الغرناطي المشهور بالراعي المتوفى سنة ٨٥٣ هـ وعنوانه «عنوان الإفادة لإخوان الإستفادة» حققه الطالب سليمان تاج الدين في جامعة أم القرىٰ سنة ١٤٠٤هـ ١٤٠٥هـ.

٣- شرح الشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥هـ وقد قامت شروح وتعليقات على هذا الشرح كثيرة، وكأن بركة الأجرومية امتدت

(١) شرح الشيخ زروق على متن الأجرومية، تحقيق الطالبة ندى الساعي، ٩٨.
(٢) شرح الشيخ زروق ٩٨ – ١٧٤.



لتشمل هذا الشرح أيضاً، فقد ذكرت فهارس المكتبات (١٥) حاشية ألفها أصحابها عناية بهذا الشرح المذكور منها:

أ) الفرائد الشنوانية لأبي بكر الشنواني المتوفى سنة ١٠١٩هـ.

ب) حاشية محمد بن علان الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٥٨هـ.

جـ) حاشية القليوبي أحمد بن أحمد الشافعي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

د ) حاشية المدابغي حسن بن علي الشافعي المتوفى سنة ١١٧٠هـ.

هـ ) حاشية أبي النجا من علماء القرن الثالث عشر على شرح الأزهرية وحظيت حاشية أبي النجا بتقريرات سجلها بعض العلماء عليها منها:

١) تقرير الأنبابي محمد بن محمد المتوفى سنة ١٣١٣هـ.

٢) تقرير الكفراوي عبد الله بن محمد من علماء القرن الثالث عشر الهجري.

٣) تقرير وشرح الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي المتوفى ١٣٣١هـ المعنون بـ(كشف الدجىٰ عن شواهد أبي النجا).

ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى كتاب التحفة السنية شرح المقدمة الأجرومية للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المتوفى سنة ١٣٣٩هـ فهو من أشهر الكتب المقررة على بعض كليات اللغة العربية في الجامعات العربية، ومنها جامعة أم القرى في مكة المكرمة قديماً.

أما أشهر الكتب التي اعتنت بإعراب الأجرومية فهو كتاب التحفة

البهية في إعراب الأجرومية للشيخ خالد الأزهري أيضاً.

وقام بنظم الأجرومية شرف الدين يحيى بن نور الدين بن موسى العمريطي الأزهري المتوفى سنة ٩٨٨هـ، وعلى هذا النظم (٧) شروح أشهرها شرح الباجوري المتوفى سنة ١٢٧٦هـ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٠٣هـ.

والخلاصة أن الأجرومية متن نحوي كثير نفعه غزير دره، وقد اعتمد علماء مكة هذا المتن أيضاً كتاباً جيداً نافعاً للطلاب، وظهرت عنايتهم بهذا الكتاب على النحو الآتي[1]:

أولاً: أن بعضهم شرح الأجرومية، ذكرت كتب التراجم منهم:

١- محمد بن محمد الأندلسي الغرناطي المعروف بالراعي المتوفى سنة ٨٥٣هـ[2].

٢- محمد بن محمد أبو العزم القدسي الحلاوي المتوفى سنة ٨٨٣هـ[3].

٣- محمد بن محمد النجاري الرميثي المتوفى سنة ٨٩٥هـ[4].

٤- عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي المتوفى سنة ٩٧٢هـ[5].

٥- علي بن جار الله بن محمد بن ظهيرة المخزومي االقرشي المتوفى سنة ١٠١٠هـ وعنوانه «رشف الشرابات السنية من مزاج الألفاظ

(١) أفدنا من ثبت الشارحين الذين ذكرتهم الباحثة ندى الساعي في رسالتها شرح الشيخ زروق على الأجرومية. وأضفنا إليهم عدداً لم تذكرهم الباحثة.
(٢) البغية، ١/٢٣٣.
(٣) أعلام المكيين، ١/٥٩.
(٤) أعلام المكيين، ١/٢٨٧.
(٥) أعلام المكيين، ٢/٧١٤.



الأجرومية»[1].

٦- أبو السعود القسطلاني المتوفى سنة ١٠٣٣هـ[2].

٧- الملا عصام المتوفى سنة ١٠٣٧هـ[3].

٨- محمد الطائفي المكي الشافعي المتوفى سنة ١٠٥٢هـ، أملاه على بعض الطلبة[4].

٩- محمد بن أحمد الأسدي العريشي اليمني المكي كان حياً سنة ١٠٦٠هـ[5].

١٠- محمد بن أحمد البلاع العواجي الأسدي العريشي المتوفى سنة ١٠٦٠هـ[6].

١١- عبد الجواد المتوفي المكي الشافعي المتوفى سنة ١٠٦٨هـ[7].

١٢- عبد الملك القلعي المكي المتوفى سنة ١٢٢٨هـ[8].

١٣- يحيى بن محمد المؤذن المتوفى سنة ١٢٦٠هـ[9].

١٤- أحمد بن السيد رمضان المرزوقي المتوفى سنة ١٢٦٢هـ سماه

(١) البدر الطالع، ١/٤٠٣، والمختصر، ٢/٢٧٩.
(٢) شرح الشيخ زروق، ١٣٢.
(٣) المختصر، ١/٣٦.
(٤) المختصر، ٢/٣٩٦.
(٥) أعلام المكيين، ٢/٦٧٦.
(٦) أعلام المكيين، ١/٣٠٢.
(٧) أعلام المكيين، ٢/٩٣٦.
(٨) المختصر، ٢/٢٨٣.
(٩) المختصر، ٢/٤٥٧.

«فوائد المرزوقية»[1].

١٥ - محمد عثمان بن محمد الميرغني المتوفى سنة ١٢٦٨هـ وعنوان شرحه «الفوائد البهية في حل ألفاظ الأجرومية»[2].

١٦ - إبراهيم الفتة المكي الحنفي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ[3].

١٧ - محمد عبد الباري الأهدل المتوفى سنة ١٢٩٨هـ[4].

١٨ - أحمد بن زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤هـ[5].

١٩ - حسن بن عبد القادر الحنفي المكي المتوفى سنة ١٣١٠هـ[6].

ويلحق بهذا أن بعضهم أعرب ألفاظ الأجرومية كالشيخ منصور ابن عبد الحميد البتاوي الجاكرتاوي الشافعي المتوفى بمكة سنة ١٣٨٧هـ عنون كتابه بـ(إعراب الأجرومية النافع للمبتدئ)[7].

**ثانياً**: أن بعضهم انفرد بتأليف شرح على الأجرومية ثم شرح هذا الشرح علماء آخرون، من أمثلة ذلك:

١ - أن الشيخ أحمد زيني دحلان المكي الشافعي المتوفى سنة ١٣٠٤هـ. شرح الأجرومية وطبع هذا الشرح مراراً وأقام الحاج محمد معصوم بن سالم السماراني السفاطوني المتوفى سنة ١٣٠٤هـ حاشية على هذا الشرح سماها «

(١) المختصر، ١/ ٨٠.
(٢) شرح الشيخ زروق، ١٤٨.
(٣) المختصر، ١/ ١٩.
(٤) شرح الشيخ زروق، ١٤٩.
(٥) شرح الشيخ زروق، ١٤٩ - ١٥٠.
(٦) المختصر، ١/ ١٢٨.
(٧) أعلام المكيين، ١/ ٢٧٥.



تشويق الخلان على شرح الأجرومية لابن زيني دحلان «طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٦هـ»[1].

٢ - أن العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الرعيني المكي الشهير بالحطاب المتوفى سنة ٩٤٩هـ ألف كتابا عنوانه «متممة الأجرومية في علم العربية» جعلها كما يقول في المقدمة: متممة لمسائل الأجرومية واسطة بينها وبين غيرها من المطولات نفع الله تعالى بها كما نفع بأصلها في الحياة وبعد الممات»[2] ثم قام بشرحها:

١ - الشيخ عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي المتوفى سنة ٩٧٢هـ سمى شرحه «الفواكه الجنية على متممة الأجرومية»[3] طبع سنة ١٣٤٢هـ في مطبعة البابي الحلبي بمصر.

٢ - الشيخ يوسف بن عبد الرحمن السمبلاويني المكي الشافعي المتوفى بمكة سنة ١٢٨٥هـ سماه «حاشية العروس المجلية على متممة الأجرومية»[4].

٣ - الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل المتوفى سنة ١٢٩٨هـ عنون شرحه بالكواكب الدرية وطبع سنة ١٣٥٦هـ بمطبعة البابي الحلبي.

**ثالثاً**: أن بعضهم نظم الأجرومية ثم شرح هذا النظم منهم:

١ - محمد بن عبد الله الطبري الحسيني الشافعي المكي المتوفى سنة ١٢٣٠هـ[5].

(١) الضوء اللامع، ٧/ ٢٨٨، وأعلام المكيين، ١/ ٣٨٦ وشرح الشيخ زروق ١٤٩.
(٢) المقدمة، ٦.
(٣) أعلام المكيين، ٢/ ٧١٤.
(٤) أعلام المكيين، ١/ ٥٢٦.
(٥) المختصر، ٢/ ٤٠٣.

٢- محمد بن علان الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٥٨هـ[١].

وصفوة القول بعد ذلك كله أن للأجرومية شأناً متميزاً، لأنها بعثت حركة علمية نشطة امتدت من حين تأليفها إلى وقتنا الحاضر، والظاهر أن اعتقاد العلماء بنفع هذا المتن دفع بعضهم إلى إنشاء أجرومية عربية ألمانية على نحو ما صنعه أحمد بن كمال بن حسن المتوفى ١٣٤١هـ، بل إن المستشرق الإيرلندي أريانيوس المتوفى سنة ١٦٢٤م ألف دراسة عنوانها «المقدمة الأجرومية في قواعد العربية واللاتينية» وقد طبع هذا العمل في ليدن سنة ١٦١٣م وبالرمو سنة ١٧٩٦م وباريس سنة ١٨٤٤م[٢]، كل ذلك يفيد أن بركة الأجرومية جعلتها كتاباً ذائع الصيت بين العرب وغيرهم.

* أما الكتاب الثاني الذي ألف في مكة في القرن الثامن أيضًا واشتهر فهو كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة ٧٦١هـ، وقد ذكر في مقدمة الكتاب فكرة تأليفه وسبب وضعه، قال: «وقد كنت في عام تسعة وأربعين وسبعمائة، أنشأت بمكة - زادها الله شرفاً - كتاباً في ذلك منوراً من أرجاء قواعده كل حالك، ثم إنني أصبت به وبغيره في منصرفي إلى مصر، ولما منَّ الله علي في عام ستة وخمسين بمعاودة حرم الله، والمجاورة في خير بلاد الله شمرت عن ساعد الاجتهاد ثانياً، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً، ووضعت هذا التصنيف على أحسن إحكام وترصيف، وتتبعت فيه مقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها ومعضلات يستشكلها الطلاب فأوضحتها ونقحتها...»[٣] وأشار في نهاية الكتاب إلى أنه ألفه في مكة، قال: «وهذا آخر ما تيسر إيراده في هذا التأليف، وأسأل الذي منَّ علي بإنشائه وإتمامه في البلد الحرام، في شهر ذي القعدة الحرام، ويسر

(١) المختصر، ٢/ ٤١٥ - ٤١٦.
(٢) شرح الشيخ زروق، ١٥٣.
(٣) المغني، ١٥.



علي إتمام ما ألحقت به من الزوائد في شهر رجب الحرام أن يحرم وجهي على النار»[١]، ونقل صاحب كشف الظنون هذه الخاتمة وأضاف قائلاً بعد قول ابن هشام في شهر ذي القعدة الحرام ما نصه: «من السنة المذكورة»[٢]، أي أن ابن هشام أنهاه في سنة واحدة والحق أن هذا الكتاب غني عن التعريف لشهرته، ومكانته، وكثرة نفعه، وصفه صاحب كشف الظنون بقوله: «وهو كتاب جليل الشأن، باهر البرهان، اشتهر في حياته، وأقبل عليه الناس»[٣]، وذكر صاحب كتاب ترتيب العلوم أن من فاته المغني فقد فاته نصف النحو[٤] ولأهمية هذا الكتاب قامت شروح كثيرة عليه، ذكر بروكلمان منها (١٥) شرحاً وحاشية، و(٧) مختصرات مع نظم واحد [٥]، ومن أشهر شروحه، شرح بدر الدين الدماميني المتوفى سنة ٨٢٧ هـ المشهور بتحفة الغريب، وقام تقي الدين أحمد بن محمد الشمني المتوفى سنة ٨٧٢هـ بصنع حاشية مشهورة على هذا الشرح سماها «المنصف من الكلام على مغني ابن هشام»[٦] وقد طبع هذان الكتابان معا في المطبعة البهية بمصر، وقام السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى سنة ٩١١هـ بشرح شواهده بعد أن حشاه بحاشية أيضاً، وقد طبع بالمطبعة البهية بمصر سنة ١٣٢٢هـ وطبع أيضاً بعناية الشيخ محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، وشرح البغدادي عبد القادر بن عمر المتوفى سنة ١٠٩٣هـ أبيات المغني، وطبع بتحقيق محمد عبد السلام هارون، وفي العصر الحاضر شرح الشيخ محمد علي طه الدرة شواهد المغني وأعربها، وعنون كتابه بفتح القريب المجيب إعراب شواهد مغني اللبيب، وقد طبع في سورية بحمص ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م. ولم تقتصر العناية بالمغني و شرحه أو

(١) المغني، ٩١٨.
(٢) كشف الظنون، ٢/ ١٧٥١.
(٣) كشف الظنون، ٢/ ١٧٥١.
(٤) ترتيب العلوم لساجقلي زاده، ٢١٦.
(٥) تاريخ الأدب العربي، ٦/ ٧٦.
(٦) كشف الظنون، ٢/ ١٧٥٣.

شرح شواهده، بل امتدت أيضاً إلى اختصاره، ولعل ذلك تسهيلاً لحفظه، فاختصره الشيخ محمد عبد المجيد الساموني الشافعي السعودي، فرغ من اختصاره سنة ٩٦١هـ وسماه «ديوان الأريب في مختصر مغني اللبيب»، واتجه بعضهم إلى نظمه أيضاً منهم الشيخ أبو النجا بن خلف المصري[1]، وذهب بعضهم إلى نظمه ثم شرحه كالسيد محسن بن عبد الكريم بن الإمام القاسم بن محمد المتوفى ١٢٦٦هـ[2].

وهكذا تنوعت التآليف الخادمة لمغني اللبيب ما بين شارح وناظم ومختصر، وما ذلك إلا لأهميته وظهور نفعه عند المشتغلين بالنحو، فلعل القبول الذي حظي به هذا الكتاب هو من بركة تأليفه في مكة ـ حرسها الله ـ.

وفي القرن التاسع تشهد القاموس المحيط، للفيروز أبادي المتوفى سنة ٨١٧ هـ، لقد أشار في نهاية هذا المعجم إلى أنه فرغ من تأليفه في مكة المكرمة راجياً من الله أن ينفع به، قال: «وقد يسر الله تعالى إتمامه بمنزلي على الصفا بمكة المشرفة تجاه الكعبة المعظمة، زادها الله تعالى تعظيماً وتشريفاً، وهيأ لقطان باحتها من بحابح الفراديس غرفاً، ونفع بهذا الكتاب ـ المكتسى من بركتها ـ إخواني، وحسنه بالقبول لتستعير من حسنه الغواني لطائف المعاني، وأجزل من فضله العميم ثوابي، وجعله نوراً بين يدي يوم حسابي، والحمد لله رب العالمين»[3]، وقد وضح الفيروز أبادي أهمية هذا الكتاب في المقدمة، قال: «وكتابي هذا ـ بحمد الله ـ صريح ألفي مصنف من الكتب الفاخرة، وسنيح ألفي قلمس

(١) كشف الظنون، ٢/ ١٧٥٤.

(٢) البدر الطالع، ٢/ ٧٨ وانظر أيضاً ٢/ ٢٢٠.

(٣) القاموس المحيط ٤/ ٤١٨، وقد بين الشيخ نصر الهوريني في مقدمة الطبعة الأولى أن الفيروز أبادي جاور بمكة وابتنى على جبل الصفا داراً فيحاء كما أخبر بذلك في مادة صفف، انظر المقدمة، ٧.



من العيالم الزاخرة... فاق كل مؤلف في هذا الفن»[1]، وقام الدكتور حسين نصار بجمع الدراسات التي قامت حول هذا المعجم اللغوي، ووزعها ضمن الأصناف التالية:

شرح مصطلحات القاموس، شرح مقدمته، تهذيبه، الاستدراك عليه نقده، حواش و شروح، مختصرات، يضاف إلى ذلك كثير من الكتب التي ترجمته إلى الفارسية أو التركية، وقد بلغ مجموع هذه الأصناف (٤٣) مؤلفاً من أشهرها تاج العروس للزبيدي المتوفى ١٢٠٥هـ الذي وصفه الدكتور حسين نصار بالقول: «إنه تاج للمعاجم، فهو أصح وأكبر وأشمل معجم، واحتوى على ما لم يأت به أكبر المعاجم العربية من فوائد مختلفة استقاها من مراجعه المتعددة المناحي التي ذكرها في مقدمته»[2]، والمشتغلون بعلوم العربية يعرفون تماماً كثرة نقع القاموس المحيط، وكذا تاج العروس وأهميتهما بين المعاجم اللغوية، والذي أحسبه أن لبركة مكة أثراً في هذا القبول الذي جعل العلماء ينهضون لخدمته كما جعل نفعه العميم ظاهراً عند الخاصة والعامة.

ويبرز المظهر الرابع في تلك الحركة اللغوية الدائبة المستمرة على مدى السنين والأعوام، فالعلماء يأتون إليها حاجين أو معتمرين و مجاورين[3]، يستفيدون من علمائها ويفيدون فيها، وقد صورت لنا كتب التراجم ثمرات هذا الالتقاء العلمي العالمي على النحو الآتي:

أ - أنهم كانوا يجتمعون في مكة ليتذاكروا شؤون العلماء في بلادهم

(١) المقدمة، ٣.

(٢) المعجم العربي، ٢/ ٦٠١.

(٣) لقب أصحاب التراجم أحيانا العلماء الذين نزلوا مكة أو المدينة وجاوروا بها بـ «نزيل مكة أو نزيل الحرمين» أنظر مواضع لذلك، في البغية ١/ ٣١ - ٥١٤، والضوء اللامع ١/ ٢٥٠، ٥/ ٨١، ٨/ ٦٧ - ٩١ - ١١٩ - ٢٨٦ - ٢٩١ - ٩/ ١٠٦ - ١٦٤ - ٢٠٠ - ١٠/ ٥١ - ٥٥ - ٥٦ - ١٠٤ - ١٦٠، وانظر أعلام المكيين ١/ ٣٢٨.

فقد ذكر أبو الطيب اللغوي نقلاً عن أبي محمد التوجي قوله: «اجتمعنا في مكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء فجعل أهل كل بلد يرفعون علماءهم ويصفونهم ويقدمونهم حتى جرىٰ ذكر الخليل فلم يبق أحد إلا قال: الخليل أذكى العرب، ومفتاح العلوم ومصرفها»[1].

ب - أنهم كانوا يقرؤون على بعضهم مؤلفاتهم أو مؤلفات أساتذتهم أو كتباً قرؤوها على أساتذتهم وقد تعذر قراءتها على مؤلفيها لتعذر الوصول إليهم، وقد رصدنا عدداً من العلماء لم تذكر لهم كتب التراجم مؤلفات لغوية ولكنها نصت على أن لهم عناية بعلوم العربية من نحو وصرف ولغة، وكان لمكة فضل كبير عليهم، فبعضهم من أهلها وبعضهم وفد إليها وأخذ عن علمائها، وبعضهم درس في المسجد الحرام أو في مدارسها من هؤلاء:

١- ثابت بن حزم الكوفي السرقسطي، المتوفى بالأندلس سنة ٣١٣هـ، كان عالماً مفنناً بصيراً بالحديث والفقه والنحو والغريب والشعر سمع بالأندلس ومصر ومكة[2].

٢ - محمد بن المؤمل بن أحمد القرشي العدوي، المتوفى بمكة سنة ٣١٩هـ، قال الفاسي عنه: «عالم بالنحو، واسع الرواية ثقة، شامي، سكن مكة، وسمع من ابن علية والزبير بن بكار»[3].

٣ - محمد بن أصبغ بن لبيب الأسيجي، المتوفى سنة ٣٢٨هـ، كان بصيراً بالنحو واللغة والغريب ومعاني الشعر، سمع بمكة من ابن

(١) مراتب النحويين، ٢٩، وانظر الأوائل للعسكري القسم الثاني، ١٢٥، وعبقري من البصرة، للدكتور مهدي المخزومي، ٣٤.
(٢) البغية، ١/٤١٨.
(٣) العقد الثمين، ٢/٣٧٧، والبغية، ١/٢٥٣.



سعيد ابن الأعرابي[1][2].

٤- الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، المتوفى سنة ٣٣٤هـ، ولد بصنعاء ثم ارتحل إلى مكة وجاور فيها، وعاد بعدها إلى صعدة، كان شاعراً، وله إحاطة بعلوم العرب من النحو واللغة والعرب والشعر والأيام والأنساب والسير والمناقب، وله ديوان شعر في ستة مجلدات[3].

٥- خطاب بن مسلمة بن عبد الله بن المغيرة الإيادي، المتوفى سنة ٣٧٢هـ، كان بصيرًا بالنحو والغريب، سمع بمكة من ابن الأعرابي[4].

٦- حسن بن محمد بن نائل القرطبي، المتوفى سنة ٣٧٢هـ، كان متصرفاً بالعربية والغريب والشعر، سمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره[5].

٧- محمد بن حسين بن عبد الوارث، المتوفى بجرجان سنة ٤٢١هـ، وهو ابن أخت أبي علي الفارسي، وأخذ عنه العربية، جاور بمكة مدة وعاد إلى جرجان ومات فيها[6].

٨- عبد الله بن طلحة اليابري، المتوفى سنة ٥١٨هـ، قرأ عليه

(١) أحمد بن محمد بن زياد البصري المتوفى سنة ٣٤٠هـ، انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي، ٣/٨٥٢.
(٢) البغية، ١/٥٦.
(٣) البغية، ١/١١١.
(٤) البغية، ١/٥٥.
(٥) البغية، ١/٥٣٩.
(٦) البغية، ١/٩٤.

الزمخشري بمكة كتاب سيبويه[1].

٩-أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان، المعروف بابن أفضل الزمان المتوفى بمكة سنة ٥٨٥هـ، كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة منها: النحو والفرائض، والحساب[2].

١٠- الحسن بن مبارك الزبيدي البغدادي، المتوفى سنة ٦٢٩هـ، كان له معرفة تامة بالنحو، حدث ببغداد ومكة[3].

١١- محمد بن عمر القرطبي، المقرئ المالكي، المتوفى سنة ٦٣١هـ، كان حاذقاً بفنون العربية، حج وسمع بمكة من عبد المنعم الغراوي، وبمصر من البوصيري[4].

١٢- محمد بن أحمد بن بطال الركبي اليمني، المشهور بالبطال، المتوفى سنة بضع وثلاثين وست مئة، أتقن النحو والقراءات واللغة والفقه والحديث باليمن، ثم ارتحل إلى مكة، فازداد بها علمًا، لأنه لم يترك أحدًا مما لديه فضيلة إلا أخذ عنه، مات ببلده اليمن[5].

١٣- جابر بن محمد الخوارزمي الكاتي الحنفي النحوي، المتوفى سنة ٧٤١هـ، قدم مكة، وقرأ الصحيح على التوزري، وتكلم على

(١) البغية، ٢/٤٦.
(٢) البغية، ١/٣٢٤.
(٣) البغية، ١/٥١٧.
(٤) البغية، ١/٢٠٢.
(٥) البغية، ١/٤٤.



أماكن في من جهة العربية، ودرس بالقدس ومكة[1].

١٤- محمد بن أحمد العجيسي التلمساني المالكي، المتوفى بالأندلس سنة ٧٨١هـ، تمهر في العربية والأصول والأدب، رحل إلى المشرق فسمع بمكة من عيسى الحجي، وبمصر من أبي حيان، وأجاز الجمال بن ظهيرة[2].

١٥- محمد بن يحيى بن مؤمن الزواوي المالكي النحوي، المتوفى بمكة سنة ٧٨٧هـ، كان بحراً في العربية وتحقيق مسائلها، جاور بمكة وسمع بها من الجمال الأميوطي، وغيره كما قال الفاسي[3].

١٦- محمد بن عبد الله بن ظهيرة المخزومي المكي الشافعي المتوفى بمكة سنة ٨١٠هـ ولد فيها وأخذ العربية عن أبي العباس بن عبد المعطي وتصدر للتدريس وازدحم الطلبة عليه من أهل بلده والقادمين إليها وحدّث بالكثير من مروياته من المسجد الحرام[4].

١٧- محمد بن محمود بن عمر الخوارزمي، المعروف بالمعيد الحنفي، المتوفى بمكة سنة ٨١٣هـ، وصفه الفاسي بقوله: «كان جيد المعرفة بالنحو والتصريف ومتعلقاتهما، وله مشاركة حسنة في الفقه ... قرأت عليه في تصريف الغزي، وفي الملحة

(١) العقد الثمين، ٣/٤٠٣. والبغية، ١/٤٨٤.
(٢) البغية، ١/٤٦.
(٣) العقد الثمين، ٢/٣٨٩، والبغية، ١/٢٦٧.
(٤) الضوء اللامع، ٨/٩٣.

للحريري، وسمعت منه شعراً له، وأخذ منه غير واحد من فقهاء مكة وغيرهم»[1].

١٨- عمر بن عبد الله الهندي، المتوفى سنة ٨١٥هـ، كان عارفاً بالأصول والعربية، أقام بمكة فوق أربعين سنة، فأفاد الناس كما قال السيوطي من هذه العلوم[2].

١٩- محمد بن أحمد الشهاب الرملي المتوفى سنة ٨٣١ هـ حدث بالكثير بالقاهرة ومكة وغيرهما وسمع منه خلق كثير وحج وجاور[3].

٢٠- عبد الواحد بن إبراهيم المرشدي، المتوفى بمكة سنة ٨٣٨ هـ ولد بمكة المكرمة، وحفظ مجموعة من المتون في القراءات والعقائد أخذ النحو عن الشيخ الكازروني، صار إماماً نحوياً، انتهت إليه رياسة العربية بمكة، ودرس فيها وفي غيرها، وانتفع به خلق كثير، ولي التدريس في المدرسة الكلبرجية، أخذ عنه عدد من علماء مكة منهم: البرهان بن ظهيرة الذي وصفه بقوله: «نحوي عصره، والمحمود في دهره، كان مشهورًا مع تفرده بالعربية بجودة النظر وصحة الفهم»[4].

٢١- محمد بن عبد القوي البجائي المغربي الأصل المكي المالكي المتوفى بمكة سنة ٨٥٢ هـ ولد فيها ونشأ بها وحفظ القرآن والعمدة وألفية ابن مالك وأخذ عن علمائها وحضر فيها مجلس ابن عرفة

(١) العقد الثمين، ٣٥١/٢.
(٢) البغية، ٦١/١.
(٣) الضوء اللامع، ١٤/٧.
(٤) أعلام المكيين، ٣٧٨/٢.



حين ورد حاجاً سنة تسعين وابن خلدون وغيرهما[1].

٢٢- محمد بن محمد التقي الهاشمي العلوي المتوفى بمكة سنة ٨٧١ هـ ولد بصعيد مصر وانتقل به أبوه إلى مكة فحفظ بها المختصرات وسمع الكثير على مشايخ بلده والقادمين إليها ثم دخل اليمن وسمع من الفيروز آبادي ومؤلفاته كثيرة مشهورة[2].

٢٣- محمد بن أبي بكر الذوالي اليمني الزبيدي، المعروف بالزوكي المتوفى بمكة سنة ٧٨٢هـ، كان عالماً صالحاً عارفاً بالفقه والحديث والتفسير واللغة والنحو والعروض، قرأ النحو على ابن بصيبص، وانتهت إليه رياسة الأدب بعده[3].

٢٤- محمد بن محمد، المعروف بالمحب الطبري، المتوفى بمكة سنة ٨٩٤ هـ، ولد ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم، وقرأ على النجم الواسطي الحاوي بحثاً، وألفية ابن مالك، والتلخيص، وعروض الأندلسي النثر والنظم، ومقدمة له في النحو بحثاً أيضاً، حدث وسمع منه الطلبة، وأفتى وخطب مرة في المسجد الحرام[4].

٢٥- السيد عبد الله العيدروس الحسيني اليمني المتوفى باليمن سنة ١٠١٩هـ ولد بتريم وأخذ عن علمائها وحج وأخذ عن علماء الحرمين ثم عاد إلى حضرموت ونصب نفسه للإقراء والنفع[5].

٢٦- السيد عبد الرحمن بن عقيل الحضرمي المتوفى باليمن ١٠٥٩هـ

(١) الضوء اللامع، ٧١/٨.
(٢) البدر الطالع، ٢٦٠/٢.
(٣) العقد الثمين، ٤٢٥/١، والبغية، ٦٢/١.
(٤) الضوء اللامع، ١٩٧/٩.
(٥) ملحق البدر الطالع، ١٣١.

ولد بتريم وأخذ عن علماء بلده وحج وأخذ عن جماعة بالحرمين ثم عاد إلى اليمن[1].

٢٧- السيد علي بن عمر باعمر الحضرمي المتوفى باليمن سنة ١٠٩٦هـ ولد بظفار ورحل إلى مكة فأخذ عن جماعة وأخذ عنه جماعة ثم رجع إلى وطنه[2].

٢٨- حسن بن علي بن يحيى بن البقاء العجيمي الحنفي المكي المتوفى بالطائف سنة ١١١٣هـ ولد بمكة المكرمة وحفظ القرآن الكريم في التاسعة من عمره وأخذ عن علماء مكة أجيز له بالتدريس فتصدر له في منزله أولاً فدرس النحو والعروض والأصلين والمنطق والحساب ثم تصدر للتدريس في المسجد الحرام[3].

٢٩- عبد الله الفهيد المتوفى بالرياض سنة ١٣٧٩هـ لازم الشيخ سليمان العمري في الأصول والفروع والحديث ولازم الشيخ بهجت البيطار في علوم العربية وسمع مشايخ الحرم في مكة حين قدم إليها مع شيخه سليمان العمري كان يحفظ دليل الطالب في الفقه الحنفي والعقيدة الواسطية وملحة الإعراب وقطر الندى وعمدة الحديث وكان يكررها استلم عددًا من الوظائف[4].

٣٠- عبد العزيز الفريح المتوفى في أشيقر سنة ١٣٩٥هـ ولد في أشيقر وانتقل مع والده إلى مكة فأخذ العلوم عن مشايخها وصف بأنه آية في حفظ كلام أئمة النحاة وعباراتهم وآية في تحقيق هذا

(١) ملحق البدر الطالع، ١١٨.
(٢) ملحق البدر الطالع، ١٧٠.
(٣) أعلام المكيين، ٢/٦٦٦.
(٤) أعلام المكيين، ٢/٧٣٧.



العلم وفي سعة الإطلاع فيه رجع إلى بلده أشيقر وتوفي بها[1].

هذا قليل من كثير من الأعلام العلماء الذين كان لمكة المكرمة بما فيها من حركة علمية نشطة فضل عليهم في تكوينهم العلمي، وقد ذكر السخاوي في كتابه الضوء اللامع في مواضع كثيرة جداً مجموعة من الأعلام نص فيها على أن المترجم له «سمع منه بمكة» أو «لقيني في مكة» أو «سمعت منه»[2].

ج- واستتبع هذا السماع طلب إجازات علمية من ذلك ما ذكره السيوطي في ترجمة محمد بن أحمد الوانوغي المتوفى في مكة سنة ٨١٥ هـ أنه «أجاز لغير واحد من شيوخنا المكيين»[3] ومنه ما ذكره السخاوي في ترجمة ابن العماد إسماعيل بن إسماعيل النابلسي ثم الدمشقي الشافعي قال السخاوي:

(١) أعلام المكيين، ٢/٧٢٧.
(٢) حرص السخاوي في كتابه الضوء اللامع على إظهار السماع الحاصل بين العلماء في مكة والمدينة عامة، والسماع الحاصل بينه وبين غيره خاصة، وقد وقفت على مواضع كثيرة في الكتاب المذكور لا بأس من إيرادها هنا لمن أراد أن يتوسع في رصد هذه الظاهرة:
١/٧ـ١٠ـ١٤ـ١٥ـ١٦ـ٣٤ـ٣٦ـ٤١ـ٥٦ـ٥٩ـ٦٩ـ٧١ـ٧٤ـ٧٥ـ٨١ـ٨٤ـ٨٨ـ١٣٧ـ١٦٦ـ١٦٧ـ١٧٠ـ١٧١ـ٢٣٠ـ٢٥٠ـ٢٥٦ـ٢٦٢ـ٢٦٣ـ٣٧١.
٢/٦٨ـ٧١ـ٨٣ـ١٠٨ـ١٦٧ـ١٧٠ـ١٧٢ـ٢٤٠ـ٢٤٧ـ٢٩١ـ٣٠٧ـ٣٠٨.
٣/١٥ـ٢٧ـ١١٢ـ١١٨ـ١٣٩ـ١٥٨ـ١٦٥ـ٢٣٧.
٤/٢٩ـ٣٧ـ٣٨ـ١٢٦ـ١٣٢ـ١٩٧ـ٢١٠ـ٢١٣ـ٢١٧ـ٢١٩ـ٢٧٩ـ٣٠٩.
٥/٥٢ـ٥٨ـ٦٦ـ٧٣ـ٧٩ـ٨١ـ١٥٣ـ١٥٤ـ١٧٩ـ٢٨٧ـ٣٠٤.
٦/٧ـ٨ـ٤٨ـ٧٥ـ٧٦ـ١٤٥ـ١٩٠ـ٢٧٥ـ٢٨٤ـ٣١٤.
٧/١٤ـ١٠٦ـ١٠٩ـ١٦٧ـ٢٨٢.
٨/٧٠ـ٧١ـ٧٢ـ٩٣ـ٩٤ـ٩٥ـ١١٣ـ٢٨٨.
٩/٣٩ـ٤١ـ٤٣ـ٦٠ـ٦١ـ١١١ـ١٣٥ـ١٩٤ـ٢٠١ـ٢٤٣ـ٢٤٥ـ٢٧٦.
١٠/١٨ـ٢٠ـ٤٢ـ٤٤ـ٥٣ـ١٦٥ـ١٩٧ـ٢٠٥ـ٢١٤.
(٣) البغية، ١/٣٢، وانظر الضوء اللامع، ٣/٧.

«ولقيني بمكة حين مجاورة كل منا فلازمني حتى حمل عني الكثير من تصانيفي ومروياتي رواية ودراية وأثبت له ذلك في كراسة واغتبط باجتماعي بي وراسلني بعدُ من الشام يطلب القول البديع لكونه سمع جُله فأرسلت له به»[1] ومن ذلك أيضاً ما ذكره في ترجمة عبد الله بن يوسف البجائي المغربي المالكي قال: «لقيني بالمدينة المنورة فأخذ عني الألفيه الحديثية بحثاً وغيرها ثم بالقاهرة فقرأ علي الموطأ بتمامه وحمل عليهما وفي مكة أيضاً جملة وكتبت له إجازة حافلة ورجع إلى بلاده»[2]، وطلب الإجازات العلمية في مكة ظاهرة واضحة أيضاً في كتب التراجم[3].

د - ولما كان العلماء يفدون إلى مكة حاملين معهم الكتب التي اعتنوا بها أدى ذلك إلى جعل مكة مكتبة علمية تحتوي الكتب المهمة النادرة في حينها - فيما يبدو - فقد نص السيوطي في ترجمة محمد بن أحمد الطاهر الأنصاري الإشبيلي المعروف بالخدب المتوفى سنة ٥٠٥ هـ تقريباً أن ابن الزبير اشتهر بتدريس الكتاب وله على الكتاب طرر مدونة مشهورة اعتمدها تلميذه ابن خروف في شرحه قلت - أي السيوطي - وقفت على حواشيه على الكتاب بمكة المشرفة[4].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره السيوطي في ترجمة أبي بكر الزبيدي الاشبيلي صاحب طبقات النحويين المتوفى سنة ٣٧٩ هـ قال السيوطي عنه: «وهو مجلد لطيف رأيته بمكة المشرفة وطالعته على هذه الطبقات»[5].

هـ - ويبدو أن حركة نسخ الكتب كانت نشطة أيضاً إذ ألفى العلماء

(١) الضوء اللامع، ٢٩١/٢.
(٢) الضوء اللامع، ٧٣/٥.
(٣) انظر ترجمة السخاوي في الصفحة٥٨ من هذا البحث.
(٤) البغية، ٢٨/١.
(٥) البغية، ٨٥/١.



أن هذا الاجتماع فرصة سانحة للحصول على الكتب المهمة النافعة التي ربما لن تقع إليهم. وقد ذكر السخاوي في ترجمة ابن عبد المعطي بن خصيب التونسي المغربي نزيل مكة أنه: «كتب بخطه من تصانيفي القول البديع واغتبط به وأفاد بهامشه ما أوضحت الأمر فيه واستجازني وكتبت له كراسة»[1]. وذكر في ترجمة علي بن إبراهيم بن أبي اليماني ثم المكي المتوفى بها سنة ٨٥٩ هـ أنه «كتب بخطه الحسن كثيراً لنفسه»[2]، ومثل ذلك ما ذكره في ترجمة عبد السلام بن عبد الوهاب المدني الحنفي المولود بالمدينة المنورة سنة ٧٣٥ هـ قال السخاوي عنه وقطن مكة: «وسمع فيها أشياء بل كتب بعض تصانيفي»[3].

وقد امتلأت كتب التراجم بأسماء هؤلاء الذين شاركوا في هذه الحركة العلمية النشطة، بمصنفات تتصل بعلوم العربية من نحو وصرف ولغة وبلاغة وسجلت لنا كتب التراجم كثيراً من مؤلفاتهم اللغوية وأعمالهم العلمية التي تتصل بالجانب اللغوي رصدنا منهم الأعلام الآتية[4]:

١- أبو محلّم الشيباني محمد بن سعد اللغوي المشهور المتوفى سنة ٢٤٥هـ، أصله من الأهواز، ورحل إلى مكة والكوفة والبصرة مراراً، كان إماماً فاضلاً في اللغة والعربية وعلم الشعر، سمع بمكة من سفيان بن عيينة، وروى عنه جماعة كثعلب والمبرد، له

(١) الضوء اللامع، ٨١/٥.
(٢) الضوء اللامع ١٥٤/٥.
(٣) الضوء اللامع، ٢٠٦/٤.
(٤) ذكرنا هنا من عثرنا عليه ممن ألف في العلوم اللغوية، وقد سبق أن ذكرنا في المسرد الأول من له عناية بالعلوم اللغوية وليس له تأليف فيها، وهذا يعني أنه لو أضيفت هذه الأعلام إلى الأعلام السابقة لظهر أن الحركة اللغوية في مكة، كانت من أنشط الحركات اللغوية، ومن أسبقها، ومن أكثرها دوامًا واستمراراً، والله يعطي الفضل لمن يشاء.

من الكتب الأنواء، والخيل، وخلق الإنسان[1].

٢- أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعي المتوفى سنة ٢٢٤هـ، ولهذا اللغوي المشهور قصة ذكرتها كتب التراجم تتعلق بسبب مكوثه في مكة قال الزبيدي: «وروى أحمد بن نصر القزويني عن محمد بن أسامة عن علي قال: قدم أبو عبيد مكة حاجاً، فلما انقضى حجه وأراد الانصراف أكرئ إلى العراق ليخرج صبيحة الغد، قال أبو عبيد: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في رؤياي وهو جالس وعلى رأسه قوم يحجبونه والناس يدخلون عليه ويسلمون عليه ويصافحونه، قال: فكلما دنوت أدخل مع الناس مُنِعْتُ، فقلت لهم: لِمَ لا تخلوا بيني وبين رسول لله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا لي: لا والله لا تدخل عليه ولا تسلم عليه، وأنت غدًا خارج إلى العراق، قال: فقلت لهم: إني لا أخرج إذاً، فأخذوا عهدي، ثم خلوا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فدخلت وسلمت وصافحت. قال علي: فلما أصبح أبو عبيد فاسخَ كَرْيَهُ وسكن مكة حتى توفي بها ودفن فيها»[2] وقدْر أبي عبيد ندركه مما قاله فيه عبد الله بن طاهر إذ قال: «علماء الإسلام أربعة، عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه والقاسم بن معن في زمانه، والقاسم بن سلام في زمانه»[3]، وقد ألف كتباً كثيرة منها: الغريب المصنف، وغريب الحديث، وغريب القرآن ومعاني القرآن والقراءات، والمقصور والممدود، والناسخ والمنسوخ والمذكر والمؤنث، وغير ذلك[4].

(١) الفهرست، ٤٦، والبغية ١/٢٥٧.
(٢) طبقات النحويين واللغويين، ٢٠٠.
(٣) المرجع السابق، ٢٠١.
(٤) انظر الفهرست، ١٠٦.



٣- محمد بن سعدان الضرير الكوفي النحوي المقرئ، المتوفى سنة ٢٣١هـ، وهو من النحويين الكوفيين، أخذ القراءات من أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة، ونظر في الاختلاف، وصنف كتاباً في النحو، وكتاباً في القراءات[1].

٤- مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة ٤٣٧هـ، صاحب المشكل، والكشف، والتبصرة، سمع بمكة ومصر، وهو علم مشهور[2].

٥- محمد بن عبد الله الصقلي اللغوي، المتوفى بحماة سنة ٥٦٥هـ ولد بمكة، وطاف في عدد من البقاع، ثم استقر في مدينة حماة، وصنف هناك تصانيف كثيرة منها: الرد على الحريري في درة الغواص، والقواعد والبيان في النحو، وينبوع الحياة في التفسير، وغيرها[3].

٦- محمد بن محمد بن علي الكاشغري المتوفى باليمن سنة ٧٠٥هـ كان ماهراً في النحو واللغة والتفسير أقام بمكة أربع عشرة سنة وصنف فيها كتابا سماه مجمع الغرائب ومنبع العجائب في أربع مجلدات ثم رحل إلى اليمن[4].

٧- محمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي، المعروف بابن مطرف الإشبيلي، المتوفى سنة ٧٠٦هـ، قرأ النحو على الشلوبين، وحفظ كتاب سيبويه، له تقييد على جمل الزجاجي، طاف في عدد من

(١) البغية، ١/٤٩٨.
(٢) البغية، ٢/٢٩٨.
(٣) البغية، ١/١٤٢.
(٤) العقد الثمين، ٢/٣١٨، والبغية، ١/٢٣٠.

البلدان ثم أقام في مكة إلى أن مات فيها[1].

٨- محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، المعروف بابن رشيد المتوفى بفاس سنة ٧٢١ هـ، كان متضلعاً بالعربية واللغة والعروض، قرأ على ابن أبي الربيع وحازم القرطاجني، وأخذ بمصر والشام والحرمين عن جماعة منهم: الشرف الدمياطي، والقطب القسطلاني، وأبو اليمن بن عساكر، وغيرهم من العلماء الذين ذكرهم في رحلته التي سماها (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة) وهي في ست مجلدات، مشتملة على فنون، ومن مصنفاته اللغوية: تلخيص القوانين في النحو[2].

٩- أحمد بن علي تقي الدين السبكي، المتوفى بمكة سنة ٧٧٣هـ أخذ العلم عن جماعة، منهم أبو حيان، والبدر ابن جماعة، صنف عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، وله بحث يتعلق بالعربية[3].

١٠- محمد بن موسى الكمال، أبو البقاء، الدميري الأصل، القاهري الشافعي، المتوفى بمكة سنة ٨٠٨ هـ، نشأ في القاهرة، وقرأ على التقي السبكي، والنويري، والأسنوي، والعربية عن ابن عقيل، وسمع بمكة على الجمال بن عبد المعطي، ودرس بمكة وأفتى فيها، وجاور سنين متفرقة وسمع منه الصلاح الفقهسي في جوف الكعبة، له مصنفات مشهورة منها: حياة الحيوان، ومختصر شرح الصفدي للامية العجم فأجاده[4].

(١) البغية، ١/٧٤.
(٢) البغية، ٢/٢٠٠، والبدر الطالع، ٢/٢٣٤.
(٣) البغية، ١/٣٤٣، والبدر الطالع، ١/٨١.
(٤) البدر الطالع، ٢/٢٧٢، وانظر الضوء اللامع، ١٠/٦.



١١- محمد بن يعقوب، أبو طاهر الفيروز أبادي الشيرازي اللغوي الشافعي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، ولد سنة ٧٢٩ هـ بكازرون من أعمال شيراز، حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، ثم ارتحل إلى بلدان كثيرة، وسمع من علماء كثيرين، حج فسمع بمكة من اليافعي وغيره وقدم مكة بعد ذلك مراراً، وجاور بها وبالمدينة والطائف، وله مصنفات كثيرة نافعة، ذكرنا منها من قبل في المظهر الثالث القاموس المحيط، وبينا أنه ألفه في مكة، وأوضحنا شهرته ونفعه وتأثيره على الدرس اللغوي العربي، وقد ذكر صاحب العقد الثمين أن الفيروز أبادي كان يحب الانتساب إلى مكة، لأنه كان يكتب بخطه: الملتجئ إلى حرم الله تعالى[1]، وللفيروز أبادي مؤلفات أخرى كثيرة منها: البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة، والروض المسلوف في من له اسمان إلى ألوف، والمقصود لذوي الألباب من علم الإعراب، وغير ذلك كثير[2].

١٢- محمد بن أحمد الوانوغي، نزيل الحرمين، المتوفى بمكة سنة ٨١٩ هـ، كان عالماً بالتفسير والأصلين والعربية والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمنطق، له تآليف على قواعد ابن عبد السلام وعشرون سؤالاً في فنون من العلم منها ما يتعلق بالنحو، وقد أجاز لغير واحد من شيوخنا المكيين كما قال السيوطي[3].

١٣- محمد بن أبي بكر بن علي، الذروي الأصل، المكي المولد المعروف بالمرجاني، المتوفى سنة ٨٢٧ هـ، مهر في العربية

(١) العقد الثمين، ٢/٣٩٢.
(٢) البدر الطالع، ٢/٢٨٠، وانظر العقد الثمين، ٢/٣٩٤.
(٣) البغية، ١/٣٢، والضوء اللامع، ٣/٧.

ومتعلقاتها أخذ العربية عن جماعة منهم: نحوي مكة ـ كما يقول السيوطي ـ الشيخ أحمد بن محمد بن عبد المعطي المالكي، من نظمه قصيدة سماها: مساعد الطلاب في الكشف عن قواعد الإعراب، ضمنها ما ذكره ابن هشام في مغني اللبيب وقواعد الإعراب في معاني الحروف[1].

١٤- شعبان بن محمد، المعروف بشعبان الآثاري، المتوفى سنة ٨٢٨هـ، ولد بمصر وحفظ كثيراً من المختصرات في أيام يسيرة، بلغت تصانيفه أكثر من ثلاثين مصنفًا، غالبها منظومات، قطن مكة وجاور بها ومما حدث به في مكة منظومته في العربية وغيرها، وله ألفية في النحو سماها كفاية الغلام في إعراب الكلام، وأرجوزة أخرى سماها الحلاوة السكرية، وشرح الألفية في ثلاث مجلدات، وله في العروض نظم سماه الوجه الجميل في علم الخليل، وآخر في علم الكتابة[2].

١٥- محمد بن محمد بن علي الدمشقي، المقرئ، الشامي المعروف بابن الجزري، المتوفى بشيراز سنة ٨٣٣هـ، ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ، ونشأ بها، وبرع في القراءات والحديث، جاور بمكة والمدينة سنة ٨٢٣هـ، ثم عاد إلى دمشق، ثم عاد إلى مكة، له تصانيف كثيرة نافعة مشهورة منها: النشر، وطيبة النشر، وطبقات القراء، والجوهرة في النحو، وغير ذلك[3].

١٦- عبد القادر بن أبي القاسم بن عبد المعطي الأنصاري المكي

(١) البغية، ١/٦١، والضوء اللامع، ٧/١٨٣.
(٢) الضوء اللامع، ٣/٣٠١.
(٣) البدر الطالع، ٢/٢٥٧، وأعلام المكيين، ٢/٩٨٧.



المالكي، المتوفى بمكة سنة ٨٨٠هـ، ولد بمكة، ونشأ بها، وأخذ عن علمائها العلوم المتعددة، وأذن له مشايخه بالتدريس والإفتاء، فدرس وأفتى، وتولى قضاء المالكية، وهو من شيوخ السيوطي في مكة، وقد أثنى عليه قائلاً: «بأنه نحوي مكة... وبأنه محيي ما درس من رسومه ومبدي ما أبهم من معلومه، وإذا ضل طالبوه عن محجته اهتدوا إليها بنجومه، ورثه لا عن كلالة، وقام به أتم قيام، فلو رآه سيبويه لأقر له لا محالة»[1].

له هداية السبيل في شرح التسهيل لم يتم، ورفع الستور والأرائك عن مخبئات أوضح المسالك، وحاشية على شرح الألفية للمكودي، وحاشية على التوضيح، ولعلها هي رفع الستور[2].

١٧- أحمد بن محمد بن عبد المعطي الأنصاري الخزرجي المكي المالكي، المتوفى بمكة سنة ٨٨٨هـ، قال عنه الفاسي: «نحوي الحجاز ولد بمصر سنة تسع وسبع مئة، وسمع من أبي حيان التسهيل، وسمع بمكة على صلاح الدين خليل العلائي، وعلى جماعة من شيوخها والقادمين إليها كثيراً من الكتب والأجزاء، وانتصب بمكة للاشتغال بالعربية والعروض، وله في ذلك تواليف، وانتفع به في ذلك جماعة من شيوخنا وغيرهم»[3] وقال عنه السيوطي: «أخذ عنه بمكة المرجاني وابن ظهيرة وغيرهما، وحدثنا عنه بالسماع شيخنا أم هانئ بنت الهوريني وهو جد شيخنا نحوي مكة قاضي القضاة محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم»[4].

(١) البغية، ١/٣٧٢.
(٢) البغية، ٢/١٠٤.
(٣) العقد الثمين، ٣/١٤٩.
(٤) البغية، ١/٣٧٢.

١٨- حسين بن أحمد الكيلاني المكي الشافعي، المعروف بابن قاون، المتوفى بمكة سنة ٨٨٩ هـ، ولد بكيلان، ونشأ بها، وأخذ الصرف والنحو والحديث والتفسير على محمد بن خضر النيسابوري، وعن الشيخ محمد حاجي السجستاني الحنفي، وسمع السخاوي، من مؤلفاته: شرح القواعد الصغرى في النحو والتصريف[١].

١٩- محمد بن محمد البخاري الرميثي، المتوفى بمكة سنة ٨٩٥ هـ، ولد ببخارى، ونشأ بها، وحفظ القرآن الكريم ومجموعة متون في الفقه والنحو والصرف وغيرها، وقام برحلات كثيرة، ونلقى عن علماء كثيرين، واستقر في مشيخة الباسطية المكية، له تنقيح الألباب وهو شرح على الأجرومية[٢].

٢٠- محمد بن محمد، أبو القاسم النويري القاهري، المتوفى بمكة سنة ٨٩٧هـ، ولد في نويرة من صعيد مصر سنة ٨٠١ هـ، حفظ القرآن الكريم وعدة مختصرات، وتلا بالعشر على غير واحد منهم ابن الجزري لقيه بمكة، وبرع في الفقه والأصلين والنحو والصرف والعروض والقوافي والمنطق والمعاني، وصنف في أكثر هذه الفنون، وحج وجاور بمكة ثم توفي فيها، له أرجوزة في النحو والصرف والعروض والقوافي في خمس مئة بيت وخمسة وأربعين بيتًا سماها المقدمات، ضمنها ألفية ابن مالك والتوضيح مع زيادات، وشرحها في نحو عشرين كراسًا، وله مقدمة في النحو لطيفة الحجم، وله القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، وشرح

(١) أعلام المكيين، ١/١٧٣.
(٢) أعلام المكيين، ١/٢٧٨.



طيبة النشر لابن الجزري[١].

٢١- محمد بن محمد البدر، الدمشقي الأصل، القاهري الشافعي، المعروف بالمارداني، من أهل القرن التاسع، ولد في القاهرة سنة ٨٢٦هـ ونشأ بها، فحفظ القرآن وألفية النحو، حج وجاور غير مرة، وسمع من المراغي بمكة، من مؤلفاته شرح الشذور والقطر والتوضيح[٢].

٢٢- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢ هـ، صاحب التصانيف المشهورة، ذكر في ترجمته أنه «وصل مكة أوائل شعبان، فأقام بها إلى أن حج، وقرأ بها من الكتب الكبار والأجزاء الصغار ما لم يتهيأ لغيره من الغرباء، حتى قرأ داخل البيت المعظم وبالحجر، وعلى غار ثور، وجبل حراء، وبكثير من المشاهد المأثورة بمكة وظاهرها كالجعرانة ومنى ومسجد الخيف على خلق كأبي الفتح المراغي، والبرهان الزمزمي، والتقي بن فهد، والزين الأميوطي والشهاب الشوائطي، وأبي السعادات بن ظهيرة، وأبي حامد بن الطائر وزيادة على ثلاثين نفساً»[٣] وجاور مرة ثانية هو وعياله، فحدث «هناك بأشياء من تصانيف وغيرها... وأملى مجالس كل ذلك في المسجد الحرام، وتوجه لزيارة ابن عباس رضي الله عنهما في الطائف رفيقاً لصاحبه النجم بن فهد، فسمع منه هناك بعض الأجزاء»[٤] وحج مرة ثالثة «وحمل الناس من أهلهما ـ أي مكة والمدينة ـ والقادمين عليهما عنه الكثير جداً

(١) الضوء اللامع، ٩/٣٠، وأعلام المكيين، ٢/٩٨٧.
(٢) الضوء اللامع، ٩/٣٥.
(٣) الضوء اللامع، ٨/٧.
(٤) الضوء اللامع ٨/٧-٨.

رواية ودراية، وحصلوا من تصانيفه جملة»[1] له كتب كثيرة منها: الحث على تعلم النحو، والجمع بين شرح الألفية لابن المصنف وابن عقيل كتب منه اليسير[2].

٢٣- عبد الرحمن بن أبي بكر، الجلال السيوطي، المتوفى في مصر سنة ٩١١هـ، العالم المشهور، صاحب التآليف اللغوية المشهورة، ألف كتاباً في مكة تحدث عنه قائلاً: «وقد عملت كتابًا على هذا النمط[3] في كراسة في يوم واحد وأنا بمكة المشرفة، وسميته النفحة المسكية والتحفة المكية، جعلت مجموعه في النحو، وفيه عروض وبديع وتاريخ»[4] وقد مر معنا في بعض التراجم قوله: وقد سمع عن بعض مشايخنا في مكة أو هو جد شيخنا نحوي مكة[5]، مما يفيد أن له عدداً من المشايخ المكيين أيضاً.

٢٤- الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري القاهري الأزهري الشافعي المتوفى سنة ٩٢٦هـ صاحب المصنفات المشهورة، سمع بمكة من الشرف أبي الفتح المراغي والتقي بن فهد والقاضيين أبي اليمن النويري وابن ظهيرة من مؤلفاته اللغوية شرح شذور الذهب[6].

(١) الضوء اللامع ٨/٧-٨.
(٢) الضوء اللامع ٨/٧-٨.
(٣) مراده أنه على نمط كتاب عنوان الشرف للإمام شرف الدين بن المقرئ عالم البلاد اليمنية، المتوفى سنة ٨١٧هـ، وكتاب عنوان الشرف هو كتاب بديع الوصف، مجموعه في الفقه، وفيه أربعة علوم غيره، تخرج من رموزه في المتن، عجيب الصنع، وهي نحو وتاريخ وعروض وقواف، وهو خمس كراريس، انظر البغية، ١/٤٤٤.
(٤) البغية، ١/٤٤٤، والبدر الطالع، ١/٣٢٨.
(٥) البغية، ١/٣٧٢.
(٦) الضوء اللامع، ٣/٢٢٧، والبدر الطالع، ١/٢٥٢.



٢٥- عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المتوفى بمكة سنة ٩٧٢هـ، ولد بمكة، ونشأ بها، وجد واجتهد في طلب العلم، وتبحر في علوم العربية حتى قالوا فيه: لم يكن له نظير في زمانه في علم النحو، من مؤلفاته، شرح قطر الندى لابن هشام (مجيب الندا)، والفواكه الجنية على متممة الأجرومية، وشرح ملحة الإعراب للحريري، وحدود النحو[1].

٢٦- أحمد بن داوود المالكي، المصري الأصل، ثم المكي، المتوفى سنة ٩٧٤هـ، من علماء المالكية، له شرح على ألفية ابن مالك، وصف بأنه شرح لطيف ظريف[2].

٢٧- علي بن أحمد، أبو العباس، شهاب الدين بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري المكي، المتوفى سنة ٩٧٤هـ، شيخ مشايخ الإسلام له شرح قطعة على ألفية ابن مالك، ومبلغ الأرب في فضائل العرب والإيعاب في شرح العباب[3].

٢٨- عبد العزيز بن علي الزمزمي، المتوفى بمكة سنة ٩٧٦هـ، ولد بمكة المكرمة، ونشأ بها، وأخذ العلم عن أكابر علمائها، تولى رئاسة علماء مكة في عصره، من تآليفه: شرح مقامات الحريري، ونظم في علم التفسير، وله شعر أيضاً[4].

٢٩- حسين بن رستم الكفوي الرومي الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٠١٠هـ أحد موالي الروم المشهورين بالفضل والبراعة تولى قضاء

(١) أعلام المكيين، ٢/٧١٤.
(٢) المختصر، ١/٥٤.
(٣) المختصر، ١/٨٧، وأعلام المكيين، ١/٣٥.
(٤) المختصر، ١/٢١٤، وأعلام المكيين، ١/٤٧٨.

مكة المكرمة واستمر بها إلى أن مات له شرح على لامية العجم للطغرائي[1].

٣٠- الشيخ ملا علي قاري بن سلطان بن محمد الهروي الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٠١٤هـ، ولد بهراة ورحل إلى مكة واستقر بها وأخذ عن جماعة من المحققين كابن حجر الهيتمي له مصنفات منها الناموس وهو شرح للقاموس المحيط، وإعراب القاري على أول البخاري والتجريد في إعراب كلمة التوحيد، وضوء المعالي في شرح بدء الأمالي وفتح باب الإسعاد في شرح قصيدة بانت سعاد، والمسألة في شرح البسملة، وقد بلغت مؤلفاته أكثر من مئة وعشرين مصنفاً[2].

٣١- عبد القادر بن محمد الطبري المكي الشافعي المتوفى بمكة سنة ١٠٣٢هـ، برع في جميع الفنون، من مصنفاته: شرح الدريدية المسمى بالآيات المقصورة على الأبيات المقصورة، وشرح قطعة من ديوان المتنبي وكشف الخافي في علمي العروض والقوافي، وله كتاب في علم العروض لم يسبق إلى مثله، فإنه استدرك على الخليل، ورضع الفن، سماه: فتح الجليل بعلم الخليل، ورد دائرة من الدوائر الخمس إلى الباقي، وجعل الدوائر أربعًا ببرهان قائم على ذلك[3].

٣٢- عبد الرحمن بن عيسى المرشدي العمري الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٠٣٧هـ ولد بها وأخذ عن علمائها، فبرع حتى وصف

(١) أعلام المكيين، ٢/٨٠٥.
(٢) البدر الطالع، ١/٤٤٥، والمختصر، ٢/٣١٨، وأعلام المكيين، ١/٤١٥.
(٣) البدر الطالع، ١/٣٧١، والمختصر، ١/٢٢٤.



بأنه شيخ الإسلام ببلد الله الحرام، من مؤلفاته: ترصيف التعريف في الصرف وشرحه، فتح اللطيف شرح التصريف ومنظومة في العروض، والوافي في شرح الكافي في علمي العروض والقوافي[1].

٣٣- عبد الملك جمال الدين المشهور بالملا عصام، المتوفى سنة ١٠٣٧هـ، وصفه أصحاب التراجم بأنه إمام العلوم العقلية والنقلية وخاتم علماء العربية، وعلم الأئمة الأعلام، قال عنه الزركشي: «إن مصنفاته بلغت ستين مصنفًا»[2]، كثير منها يتصل بعلوم اللغة العربية منها: شرح الشذور لابن هشام، وشرح الإرشاد في النحو، وشرح القطر وحاشية على القطر أيضاً، وحاشية على شرح القواعد للشيخ خالد الأزهري، وشرح على منظومة في الألغاز النحوية، وله بلوغ الأرب من كلام العرب، وله شرحان على رسالة الاستعارات، وشرح على الكافي في العروض والقوافي، والتسهيل في العروض، وشرح الأجرومية ورسالة الإعراب عن عوامل الإعراب وشرحها، والتحفة السنية في علم العربية وغير ذلك[3].

٣٤- محمد علي بن علان الصديقي، المتوفى بمكة سنة ١٠٥٨هـ، حافظ عصره وإمام وقته، حفظ متوناً كثيرة في عدد من الفنون، وحفظ القرآن الكريم بالقراءات، وصنف أكثر من أربع مئة مؤلف ما بين مطول ومختصر، من مؤلفاته اللغوية: نظم القطر وشرحه، ونظم الأجرومية وشرحها، وحاشية على شرح الشيخ خالد على

(١) المختصر، ١/٢١٠-٤٠٣، وأعلام المكيين، ٢/٨٧٠.
(٢) البدر الطالع، ١/٤٠٣.
(٣) المختصر، ٢/٢٧٩، وأعلام المكيين، ٢/٩١٦-٩١٧.

الأجرومية، وعيون الإفادة في أحرف الزيادة، وداعي الفلاح في شرح الاقتراح، ونظم قواعد الإعراب وشرحها سماه فتح الوهاب، وشرح على الزنجاني في الصرف سماه ضياء السبيل في معالم التنزيل، وله نظم العقد والمدخل في علم البلاغة، وشرح على تصنيف الشيخ محمد البركلي المسمى بالكفاية[1].

٣٥- أحمد بن محمد الأسدي الشافعي المكي المتوفى سنة ١٠٦٦هـ ولد بمكة المكرمة ولازم الشيخ محمد علي بن علان الصديقي من مؤلفاته: قلائد النحور في نظم الشذور لابن هشام[2].

٣٦- محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلي المتوفى بمكة سنة ١٠٩٣هـ قدم مكة ولازم علماءها، أخذ العربية عن الشيخ عيسى الثعالبي، وأجيز في التدريس في المسجد الحرام، من مصنفاته الكثيرة: شرح على أوائل جمع الجوامع في النحو للسيوطي ولم يتمه[3].

٣٧- محمد بن سليمان الروداني المتوفى بدمشق سنة ١٠٩٤هـ ولد بالمغرب ثم قدم مكة المكرمة ثم قصد الروم ومصر ثم عاد وجاور بالمدينة المنورة سنين ثم جاور بمكة المكرمة ثم أخرج منها لوشاية إلى دمشق إلى أن توفي بها، من مؤلفاته اللغوية: مختصر مفتاح العلوم، وحاشية نافعة عن التسهيل، وله تخليص التلخيص في المعاني والبيان، وله جدول جمع فيه مسائل العروض كلها[4].

٣٨- إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشهرزوري

(١) خلاصة الأثر، للمحبي، ١٨٤/٤، والمختصر، ٤٥٧/٢، وأعلام المكيين، ١٤٦/١.
(٢) أعلام المكيين، ٢٢١/١.
(٣) أعلام المكيين، ٥٦٩/١.
(٤) المختصر، ٣٨٠/٢، وأعلام المكيين، ٤٥٨/١.



الشافعي الكردي، المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٠١هـ، ولد ببلاد شهران فأخذ فيه العربية والمنطق والحساب والهيئة والهندسة وغير ذلك، ثم سمع الحديث عن جماعة في غير بلاده، كالشام ومصر والحجاز والحرمين، برع في جميع الفنون وأقرأ باللغة العربية والفارسية والتركية وسكن مكة المشرفة، وانتفع به الناس، ورحلوا إليه، وأخذوا منه في كل فن، حتى مات، ودفن ببقيع الغرقد، له مصنفات كثيرة حتى قيل: إنها تنيف على ثمانين، منها: إنباه الأنباه في إعراب لا إله إلا الله[1].

٣٩- حامد بن علي العمادي مفتي الحنفية بدمشق المتوفى بها سنة ١١٧١هـ ولد بدمشق ونشأ بها، وقرأ القرآن واشتغل بطلب العلم، فبرع وساد، ولما حج أخذ عن جماعة في الحرمين وأجازوه منهم الشيخ أحمد النخلي المكي والشيخ محمد الإسكندري المكي و أوهبه تفسيره الذي ألفه بعشر مجلدات، ومنهم الشيخ عبد الكريم الهندي نزيل مكة والشيخ عقيلة المكي، من مؤلفاته اللغوية: تشنيف الأسماع في إفادة لو للامتناع[2].

٤٠- حسن بن علي الفوي المكي المتوفى بمصر سنة ١١٧٦هـ ولد بمكة المكرمة وبها نشأ وأخذ عن علمائها ثم رحل إلى مصر له نظم الأزهرية في النحو[3].

٤١- أبو بكر بن محمد بن علي العجيمي الحنفي المكي المتوفى بمكة سنة ١٢٣٦ هـ طلب العلم بها على جماعة من علمائها فصار

(١) الدر الطالع، ١١/١.
(٢) سلك الدرر، للمرادي، ١٤/٢.
(٣) أعلام المكيين، ٧٤٢/٢.

فقيه وقته ونحوي عصره، له رسالة في النحو مشهورة تسمى برسالة العجيمي كان عليها العمل بمكة المكرمة قبل أن يشتهر شرح الشيخ خالد الأزهري، وله شرح على الكفراوي على الأجرومية[1].

٤٢- محمد بن صالح بن عبد الباقي الأنصاري المدني ثم المكي الحنفي الشهير بالشعاب المتوفى بمكة سنة ١٢٤٠هـ، ولد بالمدينة المنورة وطلب العلم بها، ثم قدم مكة وأخذ عن علمائها ودرس بالمسجد الحرام، له كشف النقاب شرح ملحة الإعراب[2].

٤٣- إبراهيم الفته المكي الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٢٩٠هـ ذكرنا من قبل أن له شرحاً على الأجرومية وله مصنفات أخرى هي شرح ملحة الأعراب سماه كشف الحجاب، وكتاب في العروض والقوافي، ونظم مثلثة شبيهة بمثلثة قطرب المجنسة المختلفة المعاني في اللغة و مثلثة أخرى متحدة اللفظ في اللغة أيضاً توفي بمكة نهار عيد الأضحى، والفته لقب لعشيرته القاطنين بالطائف[3].

٤٤- إلهي بخش الفيض آبادي، المتوفى بمكة سنة ١٣٠٦هـ، ولد ونشأ بفيض آباد ثم قدم مكة المكرمة وأقام بها إلى أن توفي فيها، له رسالة في النحو، وحاشية على مئة عوامل الجرجاني[4].

٤٥- أحمد بن أمين بن محمد عبد الشكور، الإمام الملازم بمقام

(١) أعلام المكيين، ٦٦٦/٢.
(٢) المختصر، ٣٩٦/٢.
(٣) المختصر، ١٩/١.
(٤) أعلام المكيين، ٧٤٣/١.



الحنفي، المتوفى بمكة سنة ١٣٢٣هـ، ألف شرحاً على يده الأمالي، وله مجموع لطيف يحتوي على نوادر وغرائب سماه الفلك المشحون[1].

٤٦- عبد الله صدقة بن زيني دحلان الشافعي المكي، المتوفى بإندونيسيا سنة ١٣٦٣هـ عالم فلكي لغوي، ولد بمكة المكرمة وحفظ القرآن وكثيرًا من المتون، وتتلمذ على علمائها في المدارس وفي الحرم الشريف من مؤلفاته: تحفة الطلاب في قواعد الإعراب ومفتاح القراءة[2].

٤٧- مختار بن عثمان مخدوم السمرقندي البخاري المكي الحنفي المتوفى بمكة سنة ١٣٦٧هـ، ولد بمكة المشرفة والتحق بالمدرسة الصولتية ثم درس فيها الفقه والنحو والصرف، واشتغل بالحديث من مؤلفاته: الدروس النحوية والتعاريف البيانية على طريقة السؤال والجواب والفوائد التعريفية[3].

٤٨- عبد الحميد بن علي قدس المكي الشافعي المتوفى بمكة سنة ١٣٣٤هـ، ولد بمكة المكرمة ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم ومجموعة من المتون في النحو والفرائض والعقائد والمنطق والفقه وغير ذلك وأخذ عن علمائها، كان نشيطًا في التأليف والنشر فانتشرت كتبه في الحجاز والشرق الأقصى من تآليفه اللغوية: رسالة في البسملة من ناحية البلاغة، وفتح الجليل الكافي في العروض والقوافي[4].

(١) المختصر، ٦٩/١.
(٢) أعلام المكيين، ٤٢٦/١.
(٣) أعلام المكيين، ٥٢٢/١.
(٤) المختصر، ١٩٤/١، وأعلام المكيين، ٧٥٥/٢.

٤٩- أحمد بن عبد الله بن محمد المخللاتي شهاب الدين الشامي المتوفى بمكة سنة ١٣٦٢هـ، ولد بدمشق وأخذ النحو على الشيخ قاسم مدور ثم قدم مكة للحج ورحل عنها ثم عاد إليها وجاور فيها والتحق بالمدرسة الصولتية، وتلقى العلم على علماء مكة اعتنى بتحصيل القراءات ووجوه الإعراب فبرع في ذلك من مؤلفاته: الجوهر المكنون في إعراب كن فيكون، والجواهر النقية في القراءات المكية (منظومة)[١].

٥٠- صالح بن محمد بن إدريس الكلنتني المكي الشافعي المتوفى بمكة سنة ١٣٧٩هـ ولد بمكة المكرمة وقرأ القرآن على جده الشيخ عبد الله بن إدريس، والتحق بالمدرسة الخيرية وفيها قرأ النحو والصرف وغير ذلك، ثم درس بالمدرسة الصولتية سنة ١٣٥٠هـ وبدار العلوم سنة ١٣٥٦هـ، له رسالة في النحو[٢].

٥١- عبد الله بن زيد المعزبي ـ بالزاي المعجمة ـ، المتوفى بزبيد سنة ١٣٨٩هـ، ولد في اليمن ثم قدم مكة المكرمة بغية استكمال طلب العلم وقرأ على جملة من علمائها ثم تصدر للتدريس في مكة ثم في زبيد من مؤلفاته: قطوف من الأمثال العربية، ونشر الأفهام في إطلاقات الأمر والنهي والاستفهام، ومنحة الوهاب شرح ملحة الإعراب، وتلخيص العبارة في أقسام العبارة[٣].

(١) أعلام المكيين، ٢/٨٤٥.
(٢) أعلام المكيين، ٢/٨٠٧.
(٣) أعلام المكيين، ٢/٨٩٦.



ومما سبق نتبين ما يأتي:

١- أن كثيراً من العلماء اللغويين وفدوا إلى مكة فبعضهم توفي بها وبعضهم غادرها.

٢- أن بعضهم اقتصرت مجاورته على مكة، وبعض آخر جاور في المدينة أيضاً، وكل ذلك أدى إلى حركة علمية في البقعتين الطاهرتين.

٣- أن بعضًا من اللغويين لم يؤلف بل اشتغل بتدريس علوم العربية وغيرها، وغلب على المتأخرين اشتغالهم أيضاً بالمدارس كالمدرسة الصولتية والخيرية، مما يفيد أن للمدارس في مكة فضلاً على تنشيط الحركة اللغوية في هذه البقعة المقدسة.

٤- أن كثيراً من العلماء حملوا معهم إلى مكة كتبهم أو كتبًا لغيرهم اعتنوا بها فكانوا يدرسون هذه الكتب ويجيزون عليها.

٥- أن بعضهم رزق البركة أيضاً في كثرة تصانيفه فقد بلغت مصنفات ملا عصام المكي أكثر من ستين مصنفًا، وبلغت مؤلفات ملا قاري الهروي أكثر من مئة وعشرين مصنفاً، أما محمد علي بن علان الصديقي فقد صنف أكثر من أربع مئة مؤلف ما بين مطول ومصغر.

٦- تميز علماء مكة باتساع دوائرهم العلمية إذا غلب على كل عالم منهم تنوع المعارف وتعدد العلوم، فقلّ أن تجد عالمًا منهم اقتصر على علم بعينه، وما ذلك إلا لأن مكة هي موئل لعلماء الحضارة الإسلامية بفروعها المختلفة.

٧- أن الحركة اللغوية في مكة المكرمة قديمة جداً بدأت منذ القرن الهجري الأول، فلم يخلُ قرن من علماء مكيين أو وافدين إليها أثروا الدرس العربي اللغوي بأعمالهم العلمية.

٨- تعد مكة مكتبة علمية نادرة، فقد حمل العلماء مؤلفاتهم أو الكتب التي اعتنوا بتدريسها معهم إلى مكة، مما أدى إلى إنشاء مكتبة علمية قيمة، فنشطت معها حركة النسخ والسماع في هذه البقعة المشرفة.

٩- أن بعض العلماء لم يكتف بمجاورة واحدة بل جاور أكثر من مرة مما أدى إلى استمرار نشاط الحركة العلمية في هذه البقعة.

١٠- استحوذت الدريدية وملحة الحريري ومقاماته والأجرومية وكتب ابن هشام وكتب ابن مالك، على اهتمام العلماء المكيين عموماً وبرعوا أيضاً بالعروض والقافية وحظي الصرف بالعناية أيضًا.

والحق أن آثار هذه الحركة العلمية امتدت إلى ما نشهده من حركة لغوية عامرة في المملكة العربية السعودية، إذ إن حلقات الدروس المتعلقة بالعلوم اللغوية المقامة بالحرم، وفي مساجد مكة، وفي جامعة أم القرى هي امتداد لتلك الحركة التي غرسها القدماء في هذه المواضع الشريفة محوطة بالبركة التي لمسناها في المظاهر التي ذكرناها، فثمة عناية من الله واضحة، وتوفيق من الله ظاهر، لتكون مكة بحق منبعًا للحضارة الإسلامية وحصنًا لعلوم العربية، قديمًا وحديثاً.



## الخاتمة

بعد رحلتنا مع بركة مكة وعلمائها اللغويين نخلص إلى ما يأتي:

١- أن البركة ـ وهي الثبات والنماء، وثبوت الخير الإلهي في الشيء المبارك ـ، تشمل الأشخاص والأزمنة والأمكنة والكتب.

٢- أن لمكة أثراً واضحًا في تشييد الدرس اللغوي عامة بفروعه المختلفة وعلومه المتعددة.

٣- أن من وجوه البركة ذلك النفع الممتد من حين إنشاء العمل العلمي إلا ما لا نهاية، فالكتب التي عرضنا لها ما يزال نفعها عميماً وخيرها وفيرًا، وستبقى ما بقيت علوم العربية.

٤- أن مناحي البركة تنوعت وظهرت بأشكال مختلفة، فتم إنشاء علوم بعينها على نحو ما رأينا عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، أو تأليف كتب كُتب لها القبول عند الخاصة والعامة ككتاب الجمل للزجاجي والكشاف للزمخشري، والمغني لابن هشام، والأجرومية لابن آجروم والقاموس المحيط للفيروز أبادي، أو يهب الله المرء مولودًا صارعالمًا كما حصل مع والد ابن الجزري، أو التمكن من علوم العربية كما حصل مع يعقوب والد ابن السكيت، أو العون من الله على تأليف كتب كثيرة شهدناها عند بعض المكيين.

٥- أن الوقوف على مثل هذه القصص اللغوية التاريخية تدفع بالمرء أن يجعل علمه خالصاً لله، فلعل البركة تحوط عمله فيصير ذا نفع فيدخل

عمله تحت قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحرس هذه البقعة المقدسة، وأن تعم بركتها لتشمل كل العباد والبلاد، وأن يدفع عنها النقم، ويديم عليها النعم، وأن ينفعنا ببركتها، ويحوطنا بلطفه وكرمه، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم البحث ولله الحمد والمنة ...

(١) من الآية (١٧) من سورة الرعد.



## المصادر المراجع


١- أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢- أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري جمع عبد الله المعلمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣- الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، للشيخ يوسف النبهاني دار الفكر، لبنان.

٤- الأوائل، للعسكري، القسم الثاني، تحقيق الدكتور وليد قصاب ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

٥- استدراك الغلط الواقع في كتاب العين، لأبي بكر الزبيدي، مطبعة الحلبي بمصر.

٦- انباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت الطبعة الاولى، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م.

٧- الأيضاح في علل النحو، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

٨- البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، نشر مطابع النصر الحديثة الرياض.

٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٠- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

١١- تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ

١٢- تاريخ الأدب العربي، لكارل بروكلمان، ترجمة الدكتور حسن محمود إسماعيل، القسم السادس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.

١٣- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم - للتنوخي المعري، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

١٤- التبرك المشروع والتبرك الممنوع للدكتور علي العلياني - الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٥- تذكرة الحفاظ، للذهبي، أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

١٦- ترتيب العلوم، للشيخ محمد بن أبي بكر المرعشلي الشهير بساجقلي زاده، دراسة وتحقيق محمد بن إسماعيل السيد أحمد، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.



١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية الإسلامية بدار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

١٨- الجمل في النحو، للزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ودار الأمل، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

١٩ - خلاصة الأثر، للمحبي، دار صادر، بيروت.

٢٠- روح المعاني، للآلوسي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٢١- الزمخشري، للدكتور أحمد الحوفي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر

٢٢- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي، ضبط محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٢٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٢٤- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

٢٥- عبقري من البصرة، للدكتور مهدي المخزومي، وزارة الإعلام العراقية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

٢٦- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.

٢٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار السلام، الرياض الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م

٢٨- الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان

٢٩- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، الطبعة الثانية، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣١٧هـ، ١٩٥٢م.

٣٠- كتاب حروف الممدود والمقصور، لابن السكيت، تحقيق الدكتور حسن شاذلي فرهود، دار العلوم، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣١- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ، ١٩٧٦م.

٣٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، عناية محمد شرف الدين يلتقايا، ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٣- الكشاف، للزمخشري، بعناية خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٣٤- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله علي الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر.

٣٥- المحكم في نقط المصاحف، للداني، تحقيق عزة حسن دمشق، ١٩٦٠م.

٣٦- المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير



مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

٣٧- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٣٨- المدارس النحوية، للدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٧٦م.

٣٩- معاني القرآن، للفراء، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٤٠- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، وطبعة دار المأمون، القاهرة ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م.

٤١- المعجم العربي، نشأته وتطوره، للدكتور حسين نصار، الطبعة الثانية، دار مصر للطباعة، ١٩٦٨م.

٤٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعة محمد فؤاد عبد الباقي، دار ومطابع الشعب، مصر

٤٣- المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٨١هـ، ١٩٦١م.

٤٤- مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون الطبعة الثانية، البابي الحلبي، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

٤٥- المقتضب، للمبرد، تحقيق الشيخ عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب.

٤٦- النحو العربي، نشأته، تطوره، مدارسه، رجاله، للدكتور صلاح رواي، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

٤٧- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لأبي البركات عبد الرحمن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.

٤٨- وفيات الأعيان وأبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خليكان، تقديم محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، مكتبة دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، وطبعة مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.

## الرسائل العلمية :

١- تعقبات أبي حيان النحوية، لجار الله الزمخشري في البحر المحيط، رسالة دكتوراة من إعداد الطالب محمد حماد القرشي، جامعة أم القرى، ١٤١٤ هـ ـ ١٤١٥هـ.

٢- شرح الشيخ زروق على متن الأجرومية، رسالة ماجستير من إعداد الطالبة ندى الساعي، جامعة أم القرىٰ ـ كلية اللغة العربية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.



## المحتوى

معنى البركة في اللغة ..... ٦
أنواع البركة، والآيات القرآنية الدالة عليها ..... ٦
أوجه البركة في مكة المكرمة ..... ٨
من مظاهر البركة: إنشاء الخليل بن أحمد الفراهيدي لعلوم العربية كلها ..... ١٠
دعاء والد ابن السكيت اللغوي ..... ١٧
شرب والد ابن الجزري من زمزم ..... ١٩
لمحة عن بركة بعض الكتب وشؤم بعضها ..... ١٩
من الكتب المباركة المؤلفة في مكة المكرمة:
مختصر الجرمي في النحو ..... ٢٢
كتاب الجمل للزجاجي وشروحه ..... ٢٣
كتاب الكشاف للزمخشري ..... ٢٤
الأجرومية وشروحها ..... ٢٧
مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري وشروحه ..... ٣٤
القاموس المحيط للفيروز آبادي ..... ٣٦
الحركة اللغوية في مكة المكرمة ومظاهرها ..... ٣٧
تراجم بعض العلماء المكيين الذين لهم عناية بعلوم العربية ..... ٣٨
تراجم بعض العلماء المكيين الذين ألفوا كتباً لغوية ..... ٤٧
الخاتمة ..... ٦٧
المصادر والمراجع ..... ٦٩
فهرس المحتوى ..... ٧٥

# أسماء الكعبة المشرفة

أسماء الكعبة المشرفة
أسماء الكعبة المشرفة